حكاية الشَّاويش
محمَّد محمَّد محمَّد

أبو القاسم أحمد رضوان

obeikandl.com

اسم الكتاب: حكاية الشَّاويش محمَّد محمَّد محمَّد

المـــــؤلف: أبو القاسم أحمد رضوان

الناشـــــر: بورصة الكتب للنَّشر والتَّوزيع

٢٥ شارع شريف- القاهرة

Email: adel.metwaly69@yahoo.com

٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣ -٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

رقم الإيداع :٢٠١٥/٢١١٢٥

الترقيم الدولي:٩- ٠١٢-٧٩٧-٩٧٧-٩٧٨

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية- دار الكتب المصرية

رشوان ،أبو القاسم أحمد.

حكاية الشَّاويش محمَّد محمَّد محمَّد/ أبو القاسم أحمد رضوان.- القاهرة: بورصة الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٥ .

١٢٤ص؛ ٢٠سم.

تدمك: ٩-٠١٢-٧٩٧-٩٧٧-٩٧٨

١- القصص العربية.

أ- العنوان.

٨١٣

obeikandl.com

حكـــايـــة

الشَّاويش محمَّد محمَّد محمَّد

أبو القاسم أحمد رشوان

الطبعة الأولى ٢٠١٦

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

إلى كلّ أبناء مصر الذين توارثوا الفقر والذل كابرًا عن كابر . . .

ولا يزالون يحبّون هذا الوطن ! !

أبوالقاسم رشوان

obeikandl.com

obeikandl.com

– مدَّ يده.

– إشارة من المركز يا حضرة العمدة.

– اقرأ:

– محمَّد محمَّد أبو الغيط.

محمَّد حفني أبو شعينط.

محمَّد السّيّد أبو القاطط.

سيّد نور الدِّين أبو البط.

عيد حسن أبو الليف.

حسَّان حسانين الجحش.

محمَّد محمَّد... محمَّد...محمَّد.

– أكمل.

هَمَسَ في أذن العمدة.

–ولده يا عمدة.

–ربط المحلاوي... شدّ وسطه بطرفي جلبابه، رفع قدمين كأنهما حافر بعير.

***

قال العمدة: مَن هذا؟ محمَّد ابن المرحوم مهران مهران أبو طباطة.

أدارَ وجهه... همَّ ينصرف – تمتمَ:

– أنا محمَّد أبو القرعة.

obeikandl.com

– أنت ابن المرحوم؟

– عمري ما سمعت حدا يقول ابن المرحوم... المراحيم ميتينكم بسْ.

– ماذا تفعل يا محمَّد؟

لم يرد.

– لماذا لم ترد يا ولد المرحوم؟

– أنا ولد أبو القرعة.

– ماذا تعمل ثا...؟

– تتبّن للبهايم.

– بكم؟

– ربع جنيه كلّ سوق.

– بسْ؟

– وغداي؟

– لك عندي شغلانة.

– أنا مبسوط، والحمد لله، والبركة في أبوي العمدة.

– العمدة وجد لك عملاً بجنيه كلّ سوق.

– هيشغّلني شيخ خفر ولا حرامي؟

– قال العمدة.

– ولد راسه ناشفة.

obeikandl.com

- زي البغل.
- فطرت يا...
- نحمده.
- كم بتاوه يشبعوك.
- لم أجرّب أشبع قط.
- ستشبع أنت والقرعة.
- في الجنَّة إن شاء الله.

قال شيخ الخفر:

- العمدة جايب لك شغلانة ستكسب منها كثيرًا تشبع وتتزوّج.
- الشّيخ علي سيزوّجني.
- كيف؟
- قال صلي يا محمَّد وأنا سأزوّجك بيضة ملظلظة من حريم الجنَّة وبيت على التّرعة... ولحمة كلّ سوق ودخان زي دخان العمدة.
- هي الجنَّة فيها دخان يا بن الـ...
- الشّيخ قال: جوازه كمال وتعميره.
- موت يا حمار – العمدة سيتوكلك من اليوم.
- من اليوم؟!!
- ستأخذ جوز جنيهات من العمدة، وجوز من الحكومة.

obeikandl.com

- الحكومة تعطي الموظّفين.
- ستكون موظفًا.
- في الزّريبة؟
- في الجهاديَّة.
- قلت كم؟
- جوز جنيهات.
- وأمّي؟
- وأكل أمّك.
- وجدّتي.
- وخالتي وعيالها؟
- لا تنسَ اسمك محمَّد محمَّد مهران وشهرته محمَّد أبو العمدة.

***

بعد أيَّام كان على باب التَّجنيد.

- محمَّد محمَّد مهران.
- تكرّر النِّداء عدَّة مرَّات.

قال الشَّاويش:

- أنت يا دفعة... ما اسمك؟
- محمَّد أبو القر.

obeikandl.com

- مَن؟
- محمَّد أبو العمدة؟

***

كانت فرقته في طليعة الذَّاهبين إلى فلسطين.

لم يعِ شيئًا من حياتها سوى ما يتناقله النَّاس.

- كانت تصطاد الشَّباب في سنِّ العشرين، يمرُّون عليها قبل الجهاديَّة.
- كنت متزوّجًا.
- مع السَّلامة يا روح أمّك.
- ورث عنها متانة البنيان، الطّول، والعرض.
- القوَّة – الوجاهة – الوسامة.
- صاحبة المزاج العالي. إذا قبلتك فأنت الفحل.
- ربته خالته... عمّته – لا يدري – لكنّها أمّه.

لكل عندها لقب – لا تنادي أحدًا باسمه... يتلمَّس صفة – فعلاً... لازمة...تلح عليها ليلاً ونهارًا... تضخّمها... تذيعها...تصبح علمًا عليه. لا يعرفه النَّاس إلا بها.

بعد حين يكشف النَّاس أنَّ ما ألحَّت عليه القرعة – هو جماع صفات الرَّجل أو المرأة.

obeikandl.com

- صدق من سمّات...
- تحاشاها أناس... تقرب أناس... لا تكف عن المناوشات بينها وبين مَن ذمّتهم بألقاب صارت أعلامًا: العفش...المعفّن – الزفر – البغل... الجحش – الحمرة... الشّتلة البغلة... البقرة...
- قال سيّد العفش!
- قصّي لي يا زنوبة أريك العجب العجاب.
- ولا عشرين زيك يابن الكلاب.
- لن يطلبك الرّجال يا وليَّة؟؟ قولي الحقيقة ولا تخجلي.
- همست: المرأة لا تخجل من أختها.
- يريدون الضّيق...ضيق... الله عليم.
- أمسك الواحدة منهم يدوب أتسوّل به وأرميه.
- وأبو السّباع طويل وهايف.
- والعترة؟
- صغير وشاطر.
- قرن شطَّة ولا زرقته.
- جرّبني؟
- الله يرحم أمّك كانت تحلق على كلاب السكك.
- ليلة واحدة.

obeikandl.com

- ليلة في الكنيف ولا رائحة أهلك يا خفيف.
- وأبو الروس؟
- الصّـيت ولا الغنـى. ذهبـت إليـه... طلبتـه للـزَّواج تحدَّاني.
- ستندمين – ستموتين أنا أبو...
- وأنا أم بات النَّاس يفتقرون جميعًا ضمّته أحلمت...
- حاول أن يتفلَّت. توالي الضَّغط.لم يملك نفسه كأنَّه أخذ شربة ملح. أرسلته فانهار. تركته ونامت في حجرة الفرن.
- في الصَّباح اختفى أبو الروس... صار اختفاؤه تاريخًا.
- سمعت أنَّك تنوي التّوبة.
- أستغفر الله... فال الله ولا فالك.
- سمعت ذلك.
- إشاعة نشرتها أمّك لحقدها وحسدها وبوار تجارتها.
- منذ شهور وأنت جنب الوقف يعف عليك الذّباب.
- كسرني ابن الكلب.
- مَن؟

- قريبك الأعمى، عامل شيخ وهو أنجس من إبليس رضي الله عنه.
- إبليس؟ حرام عليك...
- في بلدكم الشّيطان نبي.
- حتّى الشّيخ حسين يا وليَّة – حرام عليكِ.
- كنت في البيت وحدي – طرق الباب... مَن؟؟
- تفضَّل يابن الغالي.كنتُ قد انتهيتُ من حمَّامي وجلستُ أمشِّط شعري، وليس على جسدي إلا قميص قصير جدًا وأنا مرحرحة على الآخر. ولد أعمى لا خوف منه.جلسَ الولد أمامي كأنَّه ابني، هو ابني فعلاً ربَّيته صغيرًا في حجري، وعلى كتفي.
- تشمَّم رائحة الصَّابون... بدأ يتمهَّل... يرفع وركًا ويخفض آخر لم يكن عليه إلا الجلابيَّة.
- لم أكن أظن أنَّ الأعمى كالمبصر...صعب الولد عليّ، يصعب على الكافر... بلي ريق العاجز. اعملي حسنة في آخر أيَّامك، زحفت أتأمَّل لا جحش أبو العشم – ولا جحش العمدة... يا بنت دا أنت ناوية تتوبي – وكان كبرت – سامحني يا ربّ توبة من دي النّوبة.استعنا بالله... أحسستُ بوتد يشرخني

شـرخًا، شـقَّني نصـفين، حاولـت دفعـه دفسـه، لكنَّـه ضـغطَ بكلِّ قوة وراح يهبد، حفارة تبحث عن بترول، خـبط فـي الظهـر، تأوَّهـت، صـرخت، توسَّـلت، عضضـت، تجـدَّد نشـاطه، ألصـق الحجـل بـالحلق، توالى الدّكّ، عصر فيّ عصرًا كعود القصب.لم أقوَ على القيام عدَّة أيَّام.كان هذا آخر عهدي بالرِّجال.

- تبت على يد الشّيخ.

ابتسمت وقالت!

- ليس على يده...
- رحم الله القرعة.
- ألف رحمة ونور.
- كانت وقفًا على فقراء المسلمين.
- من النَّاس مَن يلمح، يهمس.
- أبـو جعيـدي رجـل شـديد البطش، ترتجـف الفرائص. تقشعرّ الجلود.
- يقلّل يا بغل!
- لم يرد.
- يقال يابن الحايلة.
- اقتربت منه؟

- وطي يابن الزَّانية وصّلني الغيط.
- حاضر يا عم أبو جعيدي.
- لفحه على كتفه. كما تلفح أمٌّ طفلها...
- اعتصره تحت إبطه... وقف به والجعيدي يصرخ...حمله عاليًا، ألقى به في قلب التّرعة لم يتقدَّم أحد، لم يغضب أحد.

مبنى واسع جدًّا من ثلاثة طوابق الأوَّل حوش كبير... مخازن للغلال والبضاعة... مرابض للخيل... والبغال والحمير للقادمين من القرى يبيعون ويشترون ويزورون السّيّد القناوي، بالطَّابق الثَّاني والثَّالث عدد كبير من الحجرات لمَن يبيتون ليلة أو ليلتين أو أكثر.

في المدخل مكتب الخواجا غطاس، وكيل أولاد العبَّاس، ورثة العباسي الكبير، في أوّل كلّ شهر يأتي الوكيل بما جمع، عمل توارثه أبناء غطاس منذ القديم.

***

قال المعلم غطاس:

- الوكالة لا تصلح لإقامة الأسر، استأجرنا بيتين خلف المقام لطع، في كلّ بيت ثلاثة طوابق، حوض كبي، طرنبة، سبيل، فرن، كوانين.

- نصبنا أربع خيام... سنشحن الأواني والدَّقيق، وزراوي السَّمن، وبلاليص العسل والجبن، وأجولة البصل والثّوم والعلق وأعددنا الذبائح.
- لا تنسوا الكليات والبوابير والخدم، اتّفقت مع أكبر دكتور في مصر معي، في المجلس.

زحفت مواكب العائلات تحفّها الخيل والجمال والحمير. والطّبل والزّمر يرجّ الأرض رجًّا. والهتاف يهزّ النَّخيل هزًّا

- مدد يا قناوي مدد!!

***

- عدد الصّبيات كثير هذا العام:
- العبَّاس عازم المديرين على طهور حفيده.
- لا يناديه إلا بالعمدة مهران ولم يبلغ السَّابعة بعد.

obeikandl.com

منذ أن نذر العبَّاس الكبير ختان بكريه مهران الأوّل في سيدي القناوي سنة استنها. اقتدى بها... سار عليها الأحفاد كلّ مَن قلّد الكبار... ضُرِبَت المضارب، نُصِبَت الخيام، أقيمت السّرادقات: الطّرق الصّوفيَّة، الخلوتيَّة، الشّاذليَّة، الحامويَّة، الجعفريَّة، الرّضوانيَّة، الشّرقاويَّة، الأذكار والأناشيد.

- لأجعلنَّ من ختانك عيدًا قوميًّا لسوهاج وقنا.
- اعزموا كلّ العمد والأعيان والخالية وأبو تشت...الشَّاطر البنداري ديني الهواري البهجوري والإرادة في المدد لبيت الخاطبة البراهمي، أبو برق السخطي أبو علام أبو رشوان السّوهاجي.
- في الأشجار القريبة من الخيام أقيمت بيوت الغجر والغوازي، والحلبة، طوائف جوالة، عربات، رجال يسوقون قطعانًا من الماعز والضَّأن، والحمير والجمال يسوقون ما يستطيعون من غنم القوم والأطفال، يجبرون صنع الحمير... من الأصوات والأشعار والأوتار في السّرادق الكبير، صرخت أصوات المنشاوي والفهرجي، والجرجاوي، والملاح وعبد الحكم: خطب البتشي، والكهومي وكراع وسرور، وكبار الوعاظ وشيوخ المعهد الدّيني وشعراء الصّعيد والزجالين والقناوي زجل بالفطرة.

- نصبت ألعاب أولاد عكاشة والحلو وعاكف والفرق الجوَّالة والإنشاد الشَّعبي ينسجون أثاثهم وخيامهم وفرشهم وبسطهم...بيوتًا تعمم الحَرّ والبرد.
- تعرف نساء منهم العزف والضَّرب والطَّبل، والغناء والرَّقص في الموالد ثمَّ يختفون ويتنقلون في الصَّحراوات من جنوب البلاد إلى ليبيا والسودان وكلّ بلاد أفريقيا.
- تقدَّمت طلائع خيَّالة البلينا وحشمت وأبو ستيت، كلّ يتراقص على ظهر جواده، تمايلت كلّ الخيول الخارجة من كلّ القرى.
- قبائل من بحري ومن قبلي جاءت المولد والليلة الكبيرة والمحمل اللواء أبو السعود والبيلي وعمد وأعيان ونواب من بعد صلاة الفجر، سالت دماء... أبقار... خرفان... جديان، مدوا السِّماط؛ ليكون عيدًا للنَّاس... أوّلهم... وآخرهم.

أطعموا البائس والفقير والقانع والمعتر...البالع والمجتر.

أذن مؤذِّن في الناس حيّ إلى خير الطَّعام.

فارت التنانير، أشعلت الكوانين، غلت القدور، جهزوا الغلمان للطاهور، اصطفَّ المدعوون، تقدَّمَ المدير...عُزِفَت الموسيقى.

هَمَسَ الهامسون:

- أين مهران؟
- أين صاحب الليلة...؟
- صمَّ التَّهامس الآذان.فتّشوا في كلّ مكان. السؤال علا الآذان أين مهران؟

قال الشَّاويش محمَّد أبو القرعة:

- انظروا في هذه التي ترونها في الجرنات إنَّها صورة زميلي في الجيش.
- هذا الرَّئيس كذَّاب.

- أخرج من جنبه صورة تجمعه بقائد فرقته الضَّابط جمال عبد الناصر، فتح النَّاس أفواههم.
- يخلق من الشَّبه أربعين.
- اقروا الأسماء على ظهر الصّورة.
- البكباشي – سيّد طه اليوز باشا كمال الدين حسين. الصَّاغ جمال عبد الناصر – الشَّاويش محمَّد محمَّد. ازداد احترام النَّاس للشَّاويش زميل الرَّئيس.
- حضرة المحترم أخونا العزيز الصَّاغ جمال عبد الناصر مشتاقين إليك كما يشتاق الزَّرع للماء، والمريض للشِّفاء والزهدان للهواء.

obeikandl.com

- وأنا مستعد للخدمة كما كنَّا في الفالوجة، وأنا كنت أقول لك أنَّك تنفع عمدة كبير وربّك استجاب.
- سلامنا للزُّملاء. وكلّ عام يا فندم وأنتم بخير... أخوكم الشَّاويش محمَّد أبو العمدة القناوي.
- اجمعوا كلّ رجال الليل في سوهاج... لن ينام رجل منكم في بيته، سأشدّ الرِّحال إلى كلِّ الموالد، لن تنام البلاد قبل عودة مهران.
- موالد أبو الحجاج الأقصر –أبو عمرة الجرجاوي أبو القاسم الأخميمي...سيّدي العارف السّوهاجي جلال الأسيوطي... سيدي الفولي المنياوي... والسّيّد الحسين الشَّافعي... العذراء... البدوي... الدّسوقي... أبو سبعين... أبو حصيرة... أبو العبَّاس لو سمحتم ... تطلعوا لا تتركوا حتَّى فتشوا المساجد والكنائس.
- قال ساخرًا :
- لم يتبين إلا مولد النبي... إلى المدينة شدَّ العباس رحاله حتَّى لو كان مولد سيدي واشنطن.
- في الجدران تحت ظلال الأشجار تقرفص صبيان تربع بنات على جذوع النَّخيل أسندت ظهور.

- أقبل في بدلته الكاكي.. منديل كبير يقيه الحر... لفه تحت طربوش قديم، شمسيَّة لا لون لها...يكاد ينام لبطء دابته التي تدب دبيبًا...
- ليس في القرى مكاتب بريد... يستقبل المركز كلّ الرسائل، ويتحرَّك السّعاة على جحوش مستأجرة براتب شهري كان تعيين الجحش في الحكومة خطوة لا ينالها إلا صاحب وساطة عالية، كان عبد العزيز باشا ينجح في الانتخابات، عيّن خمسة عشرة جحشًا من كبار جحوش المنوفية.
- وقف النَّاس جميعًا يشوفونه حتَّى دوَّار العمدة. محمَّد البطيط يصرخ: عايز جواب لجدّتي يا عم العسكري.
- إن شاء الله يا محمَّد.

***

من الخرج استلَّ حزمة، وأخذ ينادي والطّفل يهمس عايز جواب جدّتي.

انتهت الجوابات... تحرَّك الأطفال... غادر محمَّد دوَّار العمدة، هتف السَّاعي محمَّد أبو حمودة ومنه للسّت والدته نتش محمَّد الجواب.خلع جلابيته، أسرعغلمان عراياكأنما يتسابقون إلى الماء.قبل أن يصل ملأ الخبر الدروب –

زغردت، جاوبتها جلاجل زغاريد النسوان. يزغردن ويصرخن دون أن يعلموا؟

كاد يسقط على وجهه – صرخ...

مهران...مهران.

عاد مهران.

***

حي الخيران... في الوديان... انداحت جماعات الغجر... من مسالك ضيّقة يسلكونها تسللوا لواذًا – تسلّقوا نخلاً كأنَّما يصعدون إلى السَّماء... حول برك خلّفتها أمطار أقاموا ما طاب لهم مقام – على صيد الغزلان والضّباب والفئران والجرذان كلّ ما يدبّ عليها... كلّ ما ينبت فيها يقتاتونه...

في زواجهم... في إخراجهم...في أحزانهم عادات في عباداتهم وصلواتهم أعراف وطقوس.

نعشق الأمير أحمد فؤاد عجريَّة طقس الغجر إلى ليبيا وجبال الجزائر.

قال الأمير:

- لماذا زوّجوا معالي رئيس الوزراء.
- قال عارف:
- تبيَّن أنَّه من سلالتهم!!!

- إلى الجنوب انداحت جماعاتهم.

***

لأوَّل مرَّة يأتي يوم خميس يلبس جلبابًا وعمامة... ترجَّل من سيَّارة الشّرطة... قال عامل التّليفون:

-أحمد أفندي السَّاعي يا حضرة العمدة.

قال في لهفة وجدوا مهران؟!!

استلَّ السَّاعي خطابًا واحدًا.

خطاب لابنكم من الرّياسة يا عمدة: الشَّاويش محمَّد محمَّد مهران أبو العمدة.

-اقرأ-

مجلس قيادة الثَّورة في ١٩٥٣/٤/١ لأخي العزيز والزَّميل البطل الشَّاويش محمَّد محمَّد

وصلتني رسالتك وحمدت الله على سلامتكم، وأخباري كما تعلم من الصُّحف والرَّاديو، أتمنَّى أن أراك قريبًا... أخوك جمال عبد النَّاصر.

دوَّت زغاريد القرعة.

كلّ نسائهم قرع.

قال العمدة:

obeikandl.com

– تفضَّل يا محمَّد يا ولدي.

همس الشَّاويش محمَّد اتفضَّل يا ولدي!

منذ أن عدت من أشعاري وأنا أرى البدوي وعثمان حزانى قل لهم اطمئنوا مهران سيعود...

– لديهم همومهم ومشاكلهم.

– مشاكل لا أعرفها؟!

– قالوا دعوه في همِّه الكبير.

– العمدة الذي تشغله أمواله وهمومه عن هموم النَّاس لا يصلح أن يكون غفيرًا... العمدة الذي لا يسهر على مصالح النَّاس عليه أن يبحث له عن عمل آخر. اجلس قص عليَّ القصص.

– طالت غيبتك يا حضرة العمدة.

– أربعة شهور في الحجاز... البلد خربانة.

– أعوذ بالله.

– البدويَّة والعتامنة.

– أحمد بن البدوي خاطب بنت عتمان.

– كلّ النَّاس تعرف.

– عتمان رفض.

- ابن البدوي رايح جاي... الإشاعات... الرَّجل عايز يستر البنت قبل الفضيحة.
- أقسم:
- لن يتزوَّج بدوي بثامن بنات العتامنة مدى الحياة.
- أقسم البدوي.
- البنت لابنه ولو بالقوَّة.
- البلد تنتظر العمدة.
- لن أفعل شيئًا إلا بعد عودة الغائب.
- سيحترقون.
- قال الشّيخ مصايب.
- فخَّار يكسر بعضه بعضًا.
- صاح العبَّاس – كلّ ذلك من أجل امرأة.
- قال الشّيخ مصايب!
- كلّ الحروب التي وقعت بين الشَّرق والغرب سببها أنَّ عمدة أمريكا الحاج نكس بن متران بن مهران رفض يزوّج بنته للمعلّم عثمان بن زيدان السّوهاجي.
- والأمريكان لا أصلَ لهم، فقد كان جدّهم يرعى غنم جدّكم الأكبر، وكان اسمه محمَّد الأمير، يجمع النَّاس بعد العشاء، ويحكي لهم حكايات زمان – كان يا ما

obeikandl.com

كـان – أيَّـام وليـالي، سمَّاه النَّـاس الأميركـان، يـا مـا كان.

- سـرق حمـارة وهـرب، طلـع علـى بـلاد الحجـاز، جمـع قرشين... ونط في مركب كبير، رمته في بلاد بعيدة، فاضية، استصلح نصف فدَّان، جاب غنم وبقرة، تزوّج واحـدة هنديَّـة حمـرة، خلـف عـدّة أولاد سمَّاهم النَّـاس أولاد الأميركـان، بعـت لناسـه فـي سـوهاج... شـحنوا القصـب والبلح، والمشمش والعسل والملوحـة إلـى بـلاد الأميركان، حكم السّوهاجيَّة شطَّار وصلوا.
- البيـت الأبـيض أبـيض ملعلـع – صـاحوا فـي نَفَـس واحد!
- لبيك اللهمَّ لبيك.
- طـافوا سـبع مـرَّات، صـلوا سـبع ركعـات، فرشـوا قـدَّام البيت الأبيض ذات نفسه، ونادوا على بضاعتهم.
- حَمَار وحلاوة.
- العنب العنب.
- أبو حلاوة يا تين.
- معسِّلة قوي يا بطاطا.
- الفراولة يا بتاع الفراولة.

- ومعهم الطَّبليَّة والرَّبابة والنَّاي والنَّبابيت وغنُّوا لبنات أمريكا.
- البنت الأمريكيَّة.
- حمرة وطريَّة.
- زي العسليَّة.
- بلطيَّة طالعة من الميَّة.
- تبلعط في شوادر الشَّرابيَّة.
- وصيد السَّمك فيه.
- قال الخواجا بعشرة.
- قلت أنا بميَّة.
- لا أمريكان ولا ألمان.
- دا احنا السّوهاجيَّة – كما وريان.
- جبناها مشية.
- من البلينا.
- لاسكندريَّة.
- نطّينا في الميَّة.
- تبعنا في الأمريكيَّة.
- عمرهم ما داقوا الملوحة.
- ولا شمُّوا طشّة الملوخيَّة.

obeikandl.com

- وسلّم لي على.
- البنت الأمريكيَّة – ولدي يا ولدي.
- في بلكونة البيت الأبيض وقفت تنشر الغسيل لمحته.
- هوّ فيه بيت أبيض وبيت أكحل؟
- ما البلد تعمل دوار لعمدتها حسب لون النَّاس، الأمريكان بيض دوَّارهم أبيض، في أفريقيا البيت الأسود، في بريطانيا البيت الأحمر، في اليابان البيت الأصفر، في مصر البيت الأغبر.
- المعلّم عثمان بن ريان، لمح البنيَّة، شاب غريب، أسمر طويل، لبدة سوهاجي، لابسة حرير؛ شال كشمير، لباس دمور، عباية جرجاوي، شمروخ قناوي.
- نطّت البنت من البلكونة في الترعة، نط وراءها تشعّبت – قبلت شاربه... قطرات النَّدي تتساقط...تتدحرج على المرمر. البنور قبلته مرّتين... سكَّها قلمين.
- أموت قبلك يا محمَّدين.
- شدّته إلى أبيها... خلع مركوبه، دخل برجله اليمين، خلع عبايته.
- استري نفسك يا وليَّة:السَّلام عليكم يا خواجات.

- كرَّرها عدّة مرَّات.
- ردّوا السَّلام، ردّت الميَّة في زوركم... السَّلام لله يا غجر لولا أنَّني في بيتكم لعلمتكم الأدب.
- سحب جزلانه وضعه أمام عمدة أمريكا من جنيّه لألف على سنّة الله ورسوله.
- والفرح في روض القرمن واعزم كلّ ناسك وأصحابك يا واكل ناسك.
- الرّكايب على حسابنا، سمّعونا الفاتحة يا رجالة استدعوا متر جحا ضحك وقال:
- يريد أن يتزوّج حبّ الرّمان.
- ضحكوا جميعًا – عايز أقابل كبيركم: أجعص كبير أتلطع أيامًا لم يسأل فيهاأحدًا.
- تردَّد على السّفرة المصريَّة شهرًا، قال الخفير:
- الأمريكان لا ينفع معهم إلا الروس.
- سحب السَّفير الرّوسي من يده وعلى الأبيض عدل الروسي الأحمر شاف اللحم الأبيض.
- وطن مع(أبوها).
- قال عثمان:
- حلف إيه يا خواجة نقرأ الفاتحة.

- انتظر لما نأخذ رأي أمها وأخوالها.
- عداك العيب... دوّت الزغاريد.
- بعد أيَّام السَّفير الرُّوسى خطبها لنفسه عليَّ الطلاق ما فيه راجل يحل ضيفًا يراها غيري... من وراه رجال لا ينضام.
- هبوا جميعًا.
- الرُّوس يتعدوا على الكوامل، الرُّوس لا أصل لهم... مقرهم نصب على الأمريكان، وقال لهم:
- أنا: ذا خاروف، ابن حسينون:ذا خاروف معناها صاحب الخاروف الذي نزل من السَّماء فداء لإسماعيلوف، ابن سيدنا إبراهيموف، حسيبوف سلالة سيّدنا الحسين، ونسى جدهم كان يبيع لحمة رأس أمام سوق روض الفرج. وكانت رأسه غليظة فسمَّاه النَّاس أبو الرّوس. فلمَّا اكتشفوا أنَّها لحوم حمر طردوه.
- اختفى من زمن بعيد، هربَ إلى بلاد بعيدة، تزوّج عدّة نسوان، خلف عشرات الأولاد كلّهم روسهم غليظة. الرُّوس... الرُّوس، الولد: روسي، والبنت روسية حتَّى البلد سمّوها روسيا. قال السوهاجي لا

الرُّوس، ولا الأمريكان علي الطلاق ما حدّ يتزوّج حبّ الرّمّان غير عثمان بن عثمان حفيد الكوامل وزيدان وريان. وقحطان وعدنان ملك الإنس والجان.

- صلوا على سيدنا ولد عدنان.
- من كلّ نجوع قنا وسوهاج، والشَّرقيَّة، وقبائل سيناء ونجد والحجاز تدفَّقت الوفود، العهد والميثاق، القسم يا رجال... كلّ يقسم يمين شغلته... تقدّم شيخ تجار السّوق.
- أقسم بالمنجا ومن أنبتها وحلاها وسوَّاها أن أحافظ مخلصًا على نظام وكرامة رجاله وسلامة أراضيه والله على ما أقول شهيد.
- تقدَّم كبير السَّماسرة والقماطين.
- عليَّ الطلاق بالتلاتة سأحافظ على البيع والشراء ومصلحة البائع والمشتري.
- ثم تقدَّم المعلم عبد الشَّهيد.
- والمسيح الحي سأحافظ على الإخوة ووحدة السُّوق وعاش الصَّليب مع الهلال.
- ثم تقدَّم المعلم الحشاش، كبير تجَّار الصّنف، أخرج من جيبه تربة حشيش، وضعها على عينيه

وأقسم:عليَّ النّعمة من نعمة ربِّي سأحافظ على جودة الصَّنف ورخص أسعاره، وسأسعى في مجلس الشعب لإدخاله ضمن السلع المدعومة، ليصل الدَّعم إلى مستحقيه من العمال والفلاحين وطلاب المدارس والجامعات والدُّعاة.

- حاصروا البيت الأبيض، والبيت الأحمر وأسواق الخضار وشوادر السَّمك والغرز، وسوق الثلاثاء وسوق الجمال والدويقة بتاعت أمريكا كسروا الرُّوس والأمريكان. فرضوا عليهم الجزية، ترجاهم الأمريكان. وحياة سيدنا الحسين، وحياة السّيّدة زينب وسيدي عبد الرّحيم القناوي. بلاش جزية وخلوها معونة، وافق القناوية ومن يومها سميت الجزية معونة.
- هتف الجميع: الله أكبر والموت في سبيل الأمريكان أسمى أمانينا.
- طلعوا الرُّوس بره رموا الأمريكان بره، جابوا المره وزعوا جلاليب... شوا درة.
- بنى لها قصرًا في منفلوط.
- طوب أحمر زي حب الرمَّان، وزرع جنينة رمَّان.

- يا رمَّان يا منفلوطي... يا تفَّاح يا أمريكاني، كلّهذا على شان كرامة كبيرهم. رجالة، أولاد رجالة...مَن أهان نفسًا فكأنما أهان النفوس جميعًا. فما بالكم والنفس؛ نفس الكبير... إنَّ نفس الكبير بألف نفس مما تعدون.
- أحذرهم ونفس الكفر والفسوق والعصيان والرِّضا بالظلم والطغيان، وافتراء المفتري وإهانة كرامة الإنسان. وأعوذ بالله من الخصي واللص، وغلبة الدَّين وقهر الرِّجَال وكسر نفس الإنسان، وخطف النِّسوان... اللهمَّ أحينا رجالاً وأمتنا رجالاً،واحشرنا في زمرة الرجال الجدعان،ولا تحشرنا في زمرة النِّسوان.
- البنت دبلانة كلّ يوم في النَّازل.
- العشق يا حجة.
- العشق للغجر بنات العتامنة لا تعشق... الحرّة لا تعشق... لو سمعك أحد لقامت القيامة.
- لم يحدث منه شيء.
- الموضوع انتهى.
- ما ذنب البنت؟!
- قلت الموضوع انتهى.

***

قال: نفيسة الدَّاية.

- كيف حال عروستنا يا ست الحجة.
- الحمد لله، بركة يا جامع مع ابن الفولي سيد سيده، أهل، وفصل... ومال وجمال.
- قسمة ونصيب!!

في محطّة مصر مدّ الخطاب

من فضلك يا شويش... أين هذا العنوان؟

اركب هذا التِّرام –انزل التَّحرير اسأل هناك.

أعجب بالأسود. وبالرّجل الطَّويل الواقف في قلب الميدان.

في أوّل الطَّريق استوقفه الحرس.

إلى أين؟؟

- رايح لصاحبي.
- لا توجد هنا قهاوي.
- صاحبي في المجلس.
- أي مجلس يا رجل؟!
- مجلس الثورة.

- مَن؟
- الصَّاغ جمال عبد النَّاصر.
- جنّ الرّجل؟!
- مد الخطاب.
- ارتعد العسكري، أسرع.
- بعد دقائق تقدَّم السِّكرتير!
- تفضَّل.
- محمَّد أبو العمدة، على الباب يا ريس.
- هرع إليه، تعانقا – لحال العناق.
- فظلا يومهما يستذكران.
- في الصَّباح على محطَّة مصر ودَّع البكباشي زميله.
- بعد أسابيع صدر قرار بمضاعفة معاش مَن أصيب في فلسطين – صار معاش محمَّد أبو قرعة ستَّة جنيهات.

***

- صاحب الرَّيّس، ريس.
- الشَّاويش محمَّد أفندي.
- البطل.
- اختفت القرعة.

obeikandl.com

- رحم الله والدتكم كانت من أولياء الله الصَّالحين.
- قال الشّيخ علي:
- صدّقنى يا ولد أختي مقامها الكبير في مصر مقامها. أتدري ما اسم السّيّدة والدتكم؟
- اسمها زينب.
- والجامع الكبير جامع مَن؟
- قال الحاضرون.
- جامع السّيّدة زينب.
- قال الشّيخ أسمعت يا شيخ؟ لم أقل شيئًا من عندي.
- قال الجميع: رحم الله أمَّ المحسنين.
- رجالهم...غلمانهم يرعون... يصيدون... يجيدون الصّيد والحلب – نساؤهم يغزلن... ينسجن... يغنين... يرقصن... ولكن ماذا يعمل ابن العبَّاس؟
- يردّد ما حفظ من القرآن، وأطفالهم يستمعون.
- علم إخوتك القراءة والكتابة يا شيخ محمَّد أوّل عجري يتعلّم.
- ورث عن العباسيين وسامتهم وطولهم الفارع وأكتافهم العريضة، وصدروهم الممتلئة.
- قال حمد الغجري.

obeikandl.com

- جسم فارس علموه الرُّكوب والرَّقص بالزانة، والتَّحطيب في بضع سنين كان فارس الفرسان.

obeikandl.com

الفصل الثَّاني

– افقدته الحرب رجولته.

– هربت مع الجندي.

– ركبا من فرشدوا.

– المركب من نجع حمادي.

– قتلها ودفنها.

اختفت فاطمة السِّباعي. والرَّجل صامت كالجبل... صرف المعاش... ركب القطار...اختفى الشَّاويش محمَّد.من ثقب الباب لمحت سيف يده يهوى كالشهاب... قصَّت لبشة القصب قصًّا... استدار... سدَّ صدره العريض كلّ المنافذ.

لفح جحش على كتفه... عبر الترعة.

– أكل عشر بتاوات.

– عمره ما شبع.

– ينام في المقابر.

– العفاريت اختفت.

– حكايات أساطير.

بديعة الحسن والجمال واخدة الجحش، راضية بيه.

قالوا لها: جوزك عفش.

قالت: وعدي وراضية بيه.

obeikandi.com

قالت المعلّمة سعديَّة البولاقيَّة:

- شغلتها عند ناس طيّبين في الدْقي لم أرها بعد ذلك.

***

- رصد كلّ العمارات... لم يرها.
- قال بوَّاب عمارات السّعوديين!
- السّت سوسو سافرت مع المعلّمة.
- إلى أين؟
- إسكندريَّة.
- بلد كبيرة.
- والسِّت معروفة في كلّ الملاهي.
- قال الطَّبيب:
- ليس بها علَّة: اصدقي القول.
- إذا كان الأمر كذلك... ليس لها علاج إلا الزَّواج... لن نسمح لها بالخروج وإذا ماتت فأنت القاتل.
- على شاطئ البحر الكبير جلس يتأمَّل.
- البنات خلصت... البحر ستار... عمرك ما تركت فرضًا.
- لم تقتل ذبابة تقتل بنتك؟!!
- العار... العار.
- وقع وانتهى الأمر.

obeikandl.com

- قتل وعار.

ضربه الخريف... راح في نوم عميق

- اكتشف إنّها حامل... قتلها.
- لو لم تكن حاملاً ما قتلها.
- هرب الفلاح بعد أن فعل فعلته: هب أنَّك قتلتها، فماذا تفعل به... هل كنت تقتله أيضًا؟
- من المسجد الكبير خرج... سحبه من يده في المحراب جلست عروس السَّماء... جدّها... جدّتها أولياء... أنبياء... ملائكة. السّيّدة... العذراء على جواد أبيض، تقدَّم الفتى.
- هتف جدّهم أبو العبَّاس: المرسى.
- عروسك يا ولدي. هي لك منذ بدء الخلق.

بيروت ليلها نهار... امتلأت ساحة البرح لافتات موزة البحرانيَّة، قماشة الكويتيَّة...عليَّة العراقيَّة، أم العبد النَّابلسيَّة... التّونسيَّة... الجزائريَّة.

- الجامعة العربيَّة أمجاد يا عرب أمجاد المصريَّة.
- اندفع إلى ساحة النّسوان... أشكال ألوان... أوضاع... غرف تفتح تقفل... معلّم معلّمة.

- ظلَّ جالسًا يترنَّم.
- زينة يا زينة.
- لبيوت الدَّعارة آدابها، تدخل مجلس ثعابين.لا أحد يسألك... البضاعة أمامك... كلّ الأعمار... ألوان... أحجام... نساء... غلمان... لكلّ حجرتها... أرقام... مارك... أشكال وألوان... كمارك الطَّلبات في المقاهي،كلّ واحدة ومركتها. آخر النَّهار تفرز المعلّمة المارك للحساب، ربع الدَّخل يدفع نقدًا للواحدة منهنَّ... وربّك الرزَّاق... كلّما تقدَّم العمر كلَّ الرّزق.
- مالت إليه النابلسيَّة أشهر معلّمة في بيروت...اطمأنَّ إليها... أفشى السِّرّ.
- قالت:
- غادرت بيروت إلى حلب، وهذا عنوان أبو عنتر الجلبي.

***

- قال أبو عنتر:
- إنّها لا تستقرّ في مكان... عليك بحي العربي في اسطانبول.
- بعد أيَّام يبدأ المولد الكبير مدد يا مرسي مدد.

- الحاج عبد الرّحيم القناوي... صديق قديم كبير القناويَّة في إسكندريَّة.
- قال القناوي:
- محمَّد السّوداني كاتب جديد ماسك حسابات المحلات، قادم من السّودان طازة...سوداني مقشّر.
- طوله، عرضه، شكله كأنّه أخوه.
- أخو العمدة مهران.
- إيش جاب الشَّامي على المغربي... سوداني وصعيدي.
- تأمَّل.
- يخلق من الشَّبَه أربعين.
- حتَّى الصّوت صوته... مشيته... مش ممكن.
- منذ أن تزوَّج الأولاد أعيش وحدي، الحاج يخرج صباحًا ولا يعود إلا بعد صلاة العشاء، تعالي يا بنتي ونسيني.
- لا تتركوها وحدها فسحوها.
- كان ذلك جزءًا من علاجها.
- انبهرت الفتاة القادمة من السّودان بالمقام الكبير والتّرام أبو دورين وصورة الممثلين والممثلات على وجهات السِّينمات أسواق المنشيَّة... رأى الشَّاب عرائس البحر

عاريـة... تغـوص... تعـوم...عـادت النَّضـارة... عمَّـت السَّعادة.

- في كلّ المقاهي في كلّ المطاعم صور الزّعيم ربح المعلم أبو الشَّام الحلبي.
- أهلين أبو خالد. أهلين المصراوي.
- كلّ هذه الصّور؟
- ها دول أزلام أبو خالد – عشَّاق الزَّعيم... ما تعرف جمال عبد النَّاصر؟!!
- من جيبه أخرج عدَّة صور تجمعه وجمال عبد النَّاصر. مـدَّ يـده بخطـاب جمـال عبـد النَّاصـر، تظـاهرة كبيـرة تهتف... حملوه... طافوا به.
- كنت مثلك أحببته من الصِّغَر، وبعد ثلاثين عامًا اكتشفت أنَّ لـه بيتًا في الحضرة، وآخر في غيط العنب... الرَّجل كالثّعبان، إذا شعر بالأمان لدعَ أقرب الأشياء، ولولا أنَّني ابنة عمِّه الذي ربَّاه بعد موت والده ما أبقي عليَّ.
- لست ابن عمِّه... ولم أنجب... لا أحدَ لي. لا أستطيع العودة... معقول يعملها؟!!
- لـيس عنـد السِّـت أمّ أحمـد شـيء تقدِّمـه لزوجهـا غيـر حكايات القادمين من السّودان.

obeikandl.com

- رحبوا السّودان فيه ناس بيضة؟
- سوداني مقشّر.
- قالت الجدَّة: كفاية يا عمدة... السَّفر تعب وإسكندريَّة بعيدة وبرد، وأنت محتاج حد معاك.
- تعالي معاي.
- عمرك ما خرجت من البيت.
- تعالي زوري الأولياء.
- فيه حج في إسكندريَّة؟
- إن شاء الله،وهتنزلي البحر.
- هو أنا جاموسة.
- النّسوان تبلعط زي السّمك.
- والمسكينة؟
- نأخذها معنا وربّك يسهّل.
- كفاية تعب يا أخويا.
- لن أكفّ ما حييت.

لم يسأله الحلبي إلى أين؟ ولا لماذا؟

البيت بيتك يا رجال.

جهّزوا غرفة لـ"أبو خالد"، لن نناديه إلا باسم الغالي... من الغد تباشر عملك... تعيد الدَّاخل والخارج.

obeikandl.com

مصنوعات جلديَّة... خزميَّة من كلّ نوع، توزيع على كلّ التّجَّار... تصدير للشَّام ولبنان.

قريبًا سنفتح فرعًا في الإسكندريَّة؟

مائة عام وهم راكبون على أكتاف العباد...

عمد ومشايخ وخفر...

سرقوها.

مؤامرة دبّرها الطّوالي والخواجة.

لن ينالوها بعد... ليس منهم مَن يملك شيئًا... كلّ العائلات أغنى منهم.

نقل الشّيخ على ما يهمس به النَّاس.

قال محمَّد العبَّاسي:

هي فينا منذ الأزل ولنا إلى يوم الدِّين.

مَن كان يعمّر الأرض قبل آدم؟

إبليس.

قال جدّنا عمدة على آدم وعياله... وسنكون عمد الجنَّة!!

همس الشّيخ: والنَّار.

***

قال البدوي:

obeikandl.com

لن ينالوها بعد اليوم.
عشم إبليس.
تموت الحدادي وعينها في الصّيد.
ينتظرون عيّلاً نصبوه عمدة قبل أن يولد. لن يكون هذا الغلام عمدة قط.
جلس الغلام على دكَّة العمدة،وضع رجلاً على أخرى، هكذا تجلس دائمًا لا تسمح لأحد بالجلوس... كلّ النَّاس تقف لك... لا يفارق الكرباج يدك.
يقولون إنَّهم ورثوها عن جدّهم عمّ النَّبي.
جدّهم أبو لهب.
رضي الله عنه.
يا رجل حرام عليك.
هو مش عمّ النّبي.
لم يؤمن.
أنت تصلِّي على مَن؟
على النَّبي وأهله.
ما هو دا أهله.
حرام عليك يا رجل.
اسأل الشّيخ.
يريد أن يكون كبيرًا على حسابنا.
- طمعان في العموديَّة، أرسل إلى الفولي وعثمان.

- أنا لا أريد شيئًا خلّصونا من الظّلمة أولاد...
- كلامه عن مهران خطير، قال: لن يعود ولدهم.
- لا تقل الولد إنّه في الخامسة والثلاثين.
- قال عبَّاس العبَّاسي:
- لو تأكّدت ممَّا قال ما أبقيت بدويًّا واحدًا.
- لا تفعل شيئًا الآن.
- قبل أن ينتصف الليل سدّت بنادق الهواشم باب الدّوَّار... حمدان.
- أوامرك يابا العمدة.
- ظلّ البدوي مقرفصًا أمام باب الدّوّار، فلمَّا فتح اندفع.
- في عرضك يا عمدة، عليَّ الطّلاق ما حصل.
- قال العمدة.
- وكلامك للفولي وعثمان.
- كلاب، أولاد كلاب، وأنا ابن كلب، أنتم عمد... وحريمكم... وعيالكم وحميركم...وسلالتكم عمد في الدّنيا والآخرة.
- ومهران؟
- خذ أولادنا مكانه... سأخرج باحثًا عنه، ولن أعود بدونه.

obeikandl.com

الفصل الثَّالث

- سؤال يحيّرني يا معلّمي، وكلّما هممت به توقَّف في حلقي.
- لو كان لي ولد ما أحببته أكثر منك.
- اسأل ما بدا لك يا "أبو خالد".
- ملابس ذاهبة، ملابس قادمة، حقائب، جزم، ولم أرَ نقودًا قط.
- النّقود بين الدّول تتم عن طريق البنوك.
- هلاهيل، دلاديل لا تساوي ألف ليرة تحتاج إلى بنوك.
- من درج مكتبه سحب مقصًّا، من جيوب سديريه استخرج آلاف الدّولارات، ذهل الفتى.
- هلاهيل بآلاف؟!!
- قصّ المعلّم جيوبًا... تناثر دقيق.
- دقيق يا معلمي؟؟!
- هذه البودرة من أغلى أنواع المخدّرات.
- لا تخف... انتهى كلّ شيء... صفّيت أملاكي، وبعد أيَّام تبدأ حياة جديدة في لبنان.
- اختبرت صدقك وأمانتك ورجولتك، ولن أجد أفضل منك زوجًا لابنتي... لم أنجب سواها، وهي راغبة فيك.

- شرف كبير يا معلّمي.
- لك ثلث ما أملك، ولها الثّلثان، تصرّف كيف تشاء،أين تريد،أمَّا أنا فسأقضي ما بقي من العمر في جنوب لبنان مع مَن بقي من أهلي.
- لن أتركك يا معلّمي ما حييت.
- ماذا كنتَ تعمل في مصر.
- عملت في الجيش سنوات تعلّمت التَّدريب، عرفت أنواع السِّلاح.
- سيكون لك مكان في صفوف المقاومة.
- قالت السّت أم أحمد.
- أنجبت عدَّة صبيان، تعلّموا في الجامعة، ورحلوا إلى القاهرة وبلاد الخليج تمنّيت بنتًا... رزقني الله بك على كبر.
- وأنت عوضيني عن أمي... يا أمي خرجت من بين أهلي مريضة، أخذني العشق والفسق والغجر غيَّة.
- عشقت زوجي هذا ونحن العربان لا نزوّج الفلاحين... قسمة ونصيب.
- أليس هو ابن عمك؟

- غريب... يا أهلاً... لا تعرف عنه شيئًا، ولا هو يعرف مَن هو؟ سألت أبي فقال:
- وجدناه طفلاً صغيرًا.
- فسألناه قال:
- أنت محمَّد الغجري... لم يعد يذكر شيئًا.
- قال الحاج عبد الرّحيم.
- الشّيخ محمَّد العمدة جاء ، ومعه الحاجَّة الكبيرة وزوجته... المرحوم ابنها... عليك زيارتهما ودعوتهما للفداء.
- صحبت ضيفتها... قدَّمتها للضّيوف.
- زوجة ابني.
- قال الحاج عبد الرّحيم.
- لدينا ضيوف اليوم يا محمَّد يا ولدي، تكرّم بمساعدتي.

***

- بعد الغداء قالت زوجة الحاج محمَّد مهران.
- كلّ عام يأتي الحاج وحده، قلت له خدني أزور الأولياء وادعوا الله وإن شاء الله يستجيب، وجبت معي أم الغائب.
- من غاب لك يا حاجة؟

- العبَّاسيُّون يتطيّرون أولادهم في القناوي، ضاع الولد في المولد، ومن يومها وجده يصرخ هاتوا لي ولدي، هاتوا مهران... هاتوا العمدة.
- قالت وضحة: ما اسم ولدك يا أمِّي؟
- اسمه العمدة مهران.
- صرخت وضحة... أغمي عليها، فلمَّا أفاقت صرخت، إنَّه هو زوجي مهران العمدة.
- سمع الفتى اسمه يتردَّد... تذكَّر كلّ شيء... صرخ.
- أنا مهران العمدة.
- أنا مهران العمدة.
- تعانقه الجميع.
- إلى محطَّات البلينا... أبو شوشة... أبو تشت... فرشوط نجع جمادي... زحفت الجموع.
- صبيحة اليوم التَّالي مات العمدة الكبير.
- على مدى عشر سنوات لم تنقطع معايدات الرّئاسة الشّاويش محمَّد محمَّد أبو العمدة.
- المديريَّة تتساءل.

obeikandl.com

- خـرج لصـرف المعـاش... عصـابة اعترضـت طريقـه... قـاوم... قتـل... دفـن فـي القصـب... اختفـى الشّـاويش محمَّد.
- في أوّل زيارة لوفد فتح، قدَّم عرفات رجاله للرّئيس.
- المناضل أبو خالد الحلبي.
- حين وضع يده في يد الرّئيس اقتحمته عينا الصَّقر.
- أوما: أن... أنا هو.
- ابتسما.
- فـي كلّ يـوم وليلـة...ضـجَّت تلّ أبيـب عمليَّـات لا مثيـل لهـا... تمويـل جديـد... سـلاح جديـد... اجتماعـات لا تنقطع، قال شامير:
- إذا لم يحسم أمره تفاقم الموقف.
- في قلب بيروت يتأثَّر جوّ الشَّهيد أبو خالد الحلبي.
- قال عرفات:
- نفذوا وصيّة الشّهيد.
- في قريته بنت زوجته مسجدًا كبيرًا... مسجد الشّهيد محمَّد أبو القرعة كما أمر.

***

obeikandl.com

- بعد ثلاثين عامًا جاءوا بشاب غريب لا نعرف عنه شيئًا، يقولون: اسمه مهران الثَّالث العمدة الجديد.
- عيّل تايه يا أولاد الحلال:
- صدقت ما غار القديم.
- أعمامه العابسين زي البغال.
- البلد فيها رجال تسد عين الشَّمس
- بدوي –فولي – عثماني.
- آخر العباسيين.
- لن ينالوها بعد موت كبيرهم إلا لله.
- الله...غلام لا يعرف عن البلاد شيئًا... مصاحب أولاد القرعة.
- أولاد الشَّهيد.
- كلّ حرامي يموت نقول شهيدًا.
- الرّجل قتل وزراء وقضاة أخذوا تارهم منه.
- شهيد وإمام.
- كلّ الهواشمة ماتوا في ثأر، ولا أحد قال عنهم شهداء.
- أبو القرعة بنى جامعً ودوَّارًا.
- كان فاتح بيت قلّة أدب، وزوجته كانت رقَّاصة.
- صاحبه أعطاه فلوس كثيرة.

obeikandl.com

- صاحبه جمال مات فقيرًا.
- الشّهيد في الجنَّة.
- معقول؟
- مع البدوي والفولي؟ هي فوضى...
- الجنَّة.
- لأولاد العاهرة... سمعت عن المبشَّرين بالجنَّة... كلّهم أعيان.
- هوَّارة أولاد هوَّارة.
- والفقراء الذين كانوا معهم؟!
- وصاحبك العمدة الجديد جايب واحدة لا ندري من أيّ بلد.
- بنت عمدة إسكندريَّة.
- ليبيَّة.
- جنيَّة... زعطة كالسّحليَّة.
- تصور عيالها سيكونون عمدًا علينا.
- لا هم ولا أبوهم.
- عيال أبو القرعة سكنوا في مصر.
- أرسل صابر البدوي إلى الفولي.
- إذا رشَّحت نفسك فلن ينافسك أحد
- الرّجل لم يرد.

obeikandl.com

- طـافَ البـدوي كـلّ الـدَّواوير... كـلّ المنـادر... كـلّ الأفراح... كلّ المآتم... طرق كلّ البنات خلف الرِّجال... والنّسـوان... وعـد... أوعـد... توعّـد... سـأجعل كبيـرهم خادمًا لجحشي هذا يركض وراءه.
- للبيت كالكلب.
- سـأطوف بـالتّليفون المديريَّـة كلّهـا... محمـل موكـب، الملوخية والويكة للرّكب.
- لآل الفولي هيئة... ضخامة... بياض... ثراء... الوسامة فـي العباسـيين... كـلّ منهمـا عـرف بصـفات البـدوي... قصير ضئيل نصفه كلام... كما يُقال:
- تعيش يا عم الحاج بدوي.
- دفسه في صدره:
- حضرة العمدة يا كلب.
- ميّة في المية.
- قريبًا تبارك.
- من الآن.
- قل إن شاء الله.

obeikandl.com

- خلْصت.

***

- بعد أيَّام دوَّت النّيران.
- ألم أقل لكم؟
- سكنت النّيران.
- لماذا سكتم؟
- لم يرد أحد.
- الزَّغاريد غرب البلد.
- والقرون...
- في عزّ البرد القارس...برد طوبة ضم رجليه... لفّ يديه... تكوَّر... التف حول نفسه كثعبان قرصه البرد... من بعد صلاة الفجر حتى الظّهيرة.
- مر غدًا.
- عدّة أيَّام والبدوي لا يظهر... ذقن الباشا كلّ يوم شعيرات جافة خشنة، كأنَّها عانة ناقة.
- لم يعد الموسى نافعًا يا والدي.
- شغلة (أبوك وجدّك).

obeikandl.com

- إهانة وذلّ يا ولدي... المزين راح... المزيّن جاء... سب ولعن... كيلتين ذرة من السّنة للسّنة.
- ليس لنا عمل آخر.
- الرّزق في الذّراع يا ولدي.
- ليس في البلد عمل.
- أرض الله واسعة.
- ربّ هنا ربّ هناك.
- الفقر صعيدي يا ولدي، نهرب منه.
- الفقر ليه ناس يعرفها وإن ماتت يتبع خلفتها...
- آخره الجيزة.
- في السّوق الكبير.
- هاتوا الولد.
- المحمّدين الثلاثة.
- النّيران الثّلاثة.
- البغال الثّلاثة.

قال الحاج زيدان الزّيدان:

- لدينا شحنة كبيرة في لبنان، الشّيّالون هناك طمّاعون، وأيديهم طويلة.
- خذ الشّباب معك وكام شنطة... لا أحد يعرفهم.

obeikandl.com

- قال المعلم غسَّان الطّرابلسي:
- المصـاروة قبضـايات ... حملـوا كـلّ الأغـراض... حمولات تحتاج أربعين زلمة... همس في أذن محمَّد الكبير.
- مائة ليرة باليوم.
- في ميناء بيروت اختفى الزلمات الثلاثة.
- مـن تركيـا... سـوريا... لبنـان... العـراق... إيـران... موانئ الكويت... هنا طارت شاحنات الخضروات... الفواكه... اللحوم قبل أن تبزغ الشّمس.
- ألقت مـا فـي بطنهـا وتخلّت... انسـحبت تحت أقدام العباد صبارة طماطم... برتقال... كأنّما يقتاتون من خشـاش الأرض، هـدّ التَّفريـغ حيـل الرِّجـال... بـين أشولة البصل والثّوم... صناديق الخضروات والفواكه، افرشوا الأشولة التّحف
- فـي سـوق روض الفرج حفظ محمَّد الصّـغير نـداءات الباعـة... أغـانيهم... شـدّ الزّبـائن شـدا... اتّسـع العمل... قال أبو أيمن:
- ثلاثتكم معي يا رجال.

قال محمَّد الكبير:

- اتّسعت السوق لمئات المحلات. الزباين يأتون إلى غيرنا كما يأتون إلينا... لن ننتظرهم بعد اليوم.
- نسكّر المحل.
- تذهب إليهم في المعارض... في الجمعيَّات... في المطاعم... في الفنادق... في القرى البعيدة.
- دوّى اسم محمَّد المصري في كلّ المحلات... الطَّلبات بالتّليفونات.
- قال أبو أيمن: لديَّ سفرية إلى الشَّام... المحلّ أمانة لديكم... الله معكم يا شباب.

كثر البيع... تضاعف الرّبح.

- ربحيتكم يا شباب.
- كثير يا معلّم.
- حلالكم.
- همس المحمدين ألف دينار!
- ألف شكر يا معلمي.
- معلّمك شيخ الشّبابأبو عنتر.
- ولو معلّمك كان أيضًا إلى السَّاحة كلّيتها.
- ربّنا يخلّيك لنا.

- آن للفـارس أن يترجَّـل، وللغائـب أن يعـود وللمسـافر أن يتوب.
- افتتحـت مطعمًـا بالشَّـام... سـألبس الطَّربـوش التّركـي... والقفطـان الحلبـي والشَّـال الدِّمشقي، وأجلس خلف المكتب أنشد لأرجلة من الآن كلّ شيء لكم... ادفعوا ما معكم، سدِّدوا بالتَّقسيط، هذا عنواني بالشَّام.
- الشّركة المحمَّديَّة للتِّجارة.
- الشّركة المحمَّديَّة للنَّقل البرِّي.
- شبَّكَ أصابعه... انسدح على قفاه.
- فيمَ تفكِّر يابن والدي.
- فـي كـلام المعلّـم لابـدّ للمسـافر أن يعـود، وللغريـب أن يؤوب.
- سيحنّ إلى مسقط رأسه.
- راسنا سقطَ في الطّين.
- عادَ لأهله وناسه.
- ليس لنا أهل ولا ناس.
- بالفلوس كلّ النّاس ناسك... كلّ الأهل أهلك.
- موسى المزيّن؟!
- يقطعون به ألسنتهم.

obeikandl.com

- بالجلابيَّة التي خرج بها آخر مرَّة عاد، تسلّل في الدّروب (الملولوة)، لم يتعرَّفه أحد حتَّى كلابهم لم تنبحه.
- على ناصية درب المزينين صرخ محمَّد... ولد أخوي... اقعد يا ضناي.
- كيف عرّفتيني يا عمّتي.
- الجلاليب هيه هي هيه يا ولدي.
- مفتاح البيت يا عمّتي.
- من تحت وسادتها مدَّت يدها.
- أمانة المرحوم.
- لا تسلّميها إلا لمحمَّد ولدي.
- عدّة الحلاقة يا عمّتي!!
- رزقك ورزق عيالك يا ولدي... لفّيت البلاد، ورجعت يا مولاي كما خلقتني... مفتاح البيت يا عمّتي.
- ضاع يا ولدي.
- سأكسر باب البيت.
- لم يعد لك بيت.
- كيف؟
- المفتري جعله حوشًا للبهايم.
- برجله رفس الباب... كاد يعلّقه.

obeikandl.com

- وجد نفسه منبطحًا على بطنه تحت قدم البدوي.
- حرامي يقول: الحوش بتاع أبوه.
- من أبوك يا حرامي؟
- الحاج إسماعيل الشّيمي.
- المزيّن؟ لم ينجب.
- ثلاثة رجال.
- ماتوا.
- أنا أمامك حيّ.
- ستموت.
- اختفي محمَّد إسماعيل الشّيمي.
- سيَّارات... ملاكي... نقل...حكومة.
- نريد قصر محمَّد بك الشّيمي.
- قال العمدة.
- ليس لدينا قصور ولا بهاوات.
- همس شيخ الغفر:
- يسأل عن ابن الحلاق.
- لا أعرفه ولم أره.
- محبوس في دار البدوي.
- من تحت أرجل الحمير سحبوا محمَّد إسماعيل الشّيمي.

obeikandl.com

- قال العمدة مهران الثَّاني:
- الشّيمي ومَن معه صوفي حتَّى تعد لهم مسكنًا.
- بعد أيَّام شوهد الشّيمي راجعًا من الشّهر العقاري.
- خمسون فدَّانًا... حدائق... بساتين... قصر منيف... على النّهر مباشرة... رحم الله الخواجا حليم طهس العطارشة.
- كلّ الجدران... كلّ الجهات... مقصَّات.
- أمواس... ماكينات... رسومات لجدي يظهر العلامات... جدّتي الدّاية.
- نحن نقص.
- مخففين رُءُوسكم ومقصِّرين.
- هذا منزل المزينين.
- الشّيخ البدوي جاء عدَّة مرَّات يطلب الإذن.
- تفضَّل يا شيخ.
- كرَّرها عدّة مرَّات.
- بطرف عجيزته لامس حافة الدِّكة... عليَّ الطَّلاق ما يشم ضفيرتها إلا الغالي ابن الغالي، الأصيل للأصلية، وهنيا لك يا غالي.
- مَن يا شيخ؟
- بنت عمّك.

- ليس لي بنات عم.
- هية يابني.
- أنا متزوّج.
- تخدم الهانم.
- وضع الشّيمي رأسه بين يديه.
- رزع الباب رزعًا.
- البدوي يريد البنت.
- البنت صغيرة.
- سيدخل بها الليلة.
- والمأذون؟
- الشّيخ قال: هي ملك يمين.
- ويل لمَن يقترب من أخت...
- طنين الصَّفع يطنّ في أذني.
- ضلعي يكاد يتحطَّم.
- نقول مبروك يا باشا؟
- تنبَّه.
- الزَّواج قسمة ونصيب يا عم الحاج.
- قسمتك ونصيبك عندي.
- قال الغفير: نجيب المأذون؟
- قال البدوي: هو احنا بينا الكلام دا؟
- اصحَ يا عمدة. عمدة الكويت في الدوَّار.

obeikandl.com

- الشّـيخ عبـد الله الجـابر الصّـباح يملـك عمـارات فـي قلـب الإسـكندريَّة: أنـس للقنـاوي – يظـل القنـاوي يحكـي للشّـيخ نوادر أهل الصّعيد.
- سوالفك حلوة يا قناوي.
- محمَّد يعرف كلّ حكايات السّودان.
- أحس ابن الصّباح أنّ وراء الشَّاب سرًّا.
- سيَّارة حمـراء... عبـاءة حمـراء... غطـرة كـويتي... عقـال عراقي.
- جئت لأشكرك على حسن ضيافتك لنا.
- همس عبَّاس العبَّاسي.
- عباية يابن الواطي... القوالب نامت والأنصاص قامت. الله يرحم لبدة أهلك عومي يا لبدة... عومي.
- النَّاس يتفاخرون بآبائهم وأجدادهم وأموالهم. أجلها شيئًا من ذلـك، فـنحن خـدّامكم منـذ الأزل، كـلّ الرّجـال خُتنـوا علـى أيدينا... كلّ النِّساء ولدوا على أيدي نسائنا... لا يُقام فرح بدوننا، ولا عزاء بغيرنا... ليس هناك في المركز من رجل ولا امرأة، صغيرًا أو كبيرًا إلا ونعرفه ويعرفنا... لا أقول إنّي

فعلت كذا وكذا ممّا فعلت إلا ما يجب، ولا شكر على واجب.

- طاف العدوي بكلّ القبائل.
- كيف تسمحون لابن الحلاق أن يكون نائبًا؟!
- لمَّ رجله اليسرى... ثناها تحته، رفع ركبته اليمنى... بسط كفّه... أسند رأسه عليها... على حافّة الدِّكَّة كوّع أسبل رموشًا سابغات... تاه.
- ها هو الكرسي... رقم عشرة أمام المنصَّة صنع خصيصًا للنَّائب عبَّاس العبَّاسي الكبير.
- من كراسى الجنَّة... ورثناه عن ابن عمّنا... لم يجلس عليه أحد قط... حين مات العبَّاسي ظلّ شاغرًا حتّى نهاية الدّورة... الخديوي إسماعيل يصافح العبَّاسي... كلّ السَّلاطين... آخر صورة للملك فاروق يعانق مهران العبَّاسي.
- على أطراف أصابعه (تقبض)الشّيخ عليه... لم يتنبَّه... ظلّ العمدة غافيًا.
- أمام الدوَّار العتيق، يُقال إنّه أوّل دوَّار وضع للنَّاس... لا يغفل بأيَّة ساعة من ليل أو نهار تمدّ الطَّبالي... ثلاث

مرَّات في اليوم... وإن لم يكن أحد. نخلتان سامقتان.ذكر ونخلة... لا أحد يعرف متى زُرعا.

- من فوق النَّخلة نعق غراب.
- تنبَّه.
- اللهمَّ اجعله خيرًا.
- نعيق الغراب مبكّرًا تسبيح يا حضرة النَّائب.
- قال بتعجُّب!
- نائب؟
- خيركم على النَّاس جميعًا.
- أستغفر الله.
- حميركم حمالكم... أبقاركم لمَن يشاء يحرثون... يزرعون... يدرسون... يحملون... حتّى كلابكم لا تنبح أحدًا.
- لكلّ زمان رجاله ياعم الشّيخ.
- أنتم الرّجال لا أحد غيركم.
- الفولي لن يترشَّح، البدوي أخذها من قصيره.
- عارف مصلحته.
- الولد الطَّالع في المقدّر ثمنه.
- لا يكمل يا رجل ماذا يقول النَّاس!
- العبَّاسي تشطر على حلاقة...!

obeikandl.com

- خميلية ناتيه... تتحف بها أشجار التوت والياسمين وأنواع الزهور والورود والنخيل باسقات لها طلع نضيد... وكروم العنب وقد دانت قطوفها.
- اتكأ محمَّد الكبير على مرفقه فوق أريكة من جريد النخيل... ووسادة حشوها ليف، وقد علق جلابيته التي خرج بها... أوَّل مرَّة على الجوانب... سورتا الضحى والانشراح كتبتا بماء الذهب في إطارين من الذهب الخالص... يرتلها كلما دخل أو طلع... والنهر الكبير يجري من تحته.
- تمتم الشيخ علي:
- فرعون موسى وهارون.
- السَّلام على الحبيب ابن الحبيب حضرة النائب الأريب السَّعيد.
- كلما سمعتها اقشعرَّ جلدي... مشلولة يا مولانا.
- أنت قدها وقدود.
- ماذا أقول للناس؟ مَن أنا؟ العائلات معروفة.
- أصيل ابن أصول.
- من تحت الوسادة أخرج عدّة الحلاقة، جذب الشّيخ.
- ماذا ستفعل؟

- أسوي زرعة الغيرة التي غطت وجهك... لم يشعر إلا ونصف ذقنه قد ملأ حجرة.
- ستعود شابًّا يا مولانا – لا ينقصك إلا...
- اليد قصيرة... عروسًا في الغابرين.
- نطولها.
- صليت الصّبح، ثم هتف لي هاتف:
- يا علي زر حبيبك.
- يمّمت وجهي قصركم العامر.
- ستقيم معي اليوم كله... ماذا تأكل يا مولانا.
- من كلّ زوجين اثنين.
- ظلّ الشّيخ علي يقصّ أساطير الأوّلين وحكايات الآخرين والطيّب ترى ولا مقطوعة ولا ممنوعة.

قبيل المغرب قال:

- أكل طعامكم الأبرار.
- لم تفاتحنا فيما جئت من أجله...
- ما جئت إلا للسَّلام.
- هل أرسلك؟
- لم يصرِّح.
- أفكر في الانسحاب.

obeikandl.com

- البدوي ينتظر هذا لو انسحبت سيقدّم ويفوز.
- عشرات السَّنوات لم ينافسنا أحد إلا هذه المرَّة.
- قال الشّيخ علي:
- الولد ورطه البدوي... نصحته.
- لا تخاطر... لن تحصل على صوتك ستكون سخرية... لن تستطيع العيش بين الناس بعد ذلك... قال:
- سأدمّركم تدميرًا... سأجعلهم يعودون إلى الصَّحراء التي جاءوا منها... ألف مبروك.
- يا حضرة النائب.
- مدّ العبَّاسي يده.
- قبلَ الشّيخ اللفافة.. وضَعها في جيبه وهو يلحّ بالدُّعاء.
- مع السَّلامة يا عمّ الشّيخ.
- أصيل ابن أصول ابن البرَّاني... أين نحن نقص نقيه نتفه.
- قال عبَّاسي: الله يرحم القرعة، كانت تقول الشّيخ مصايب... في أوّل يوم على أوّل درجة من درجات سلم باب الحقوق...دقّ قدمها... انخلع قبله... توقف... همت بالثانية على ظهر مستقيم... انحنى قليلاً... تماوج الكستنائي... تقني الإبريز... ارتفعت التنورة قليلاً... برقت الأرجل الملفوفة كأنها أقماع الجمار...لمعت الكعوب

المشـربة حمـرة، كأنهـا حبَّـات التفـاح مـع حركـة الصُّـعود تراقص كلّ شيء كأنما تصعد سلمًا موسيقيًّا.

على آخر بسطة لمَّت عطفها... جيد رئم اشرأب... تدلى قرط كالثريَّا من فتحة الجيب... ألمعت الترائب تعشي البصر كأنها السّجيل المصقول... نهد النهدان كأنما يوحّدان... انساب قميص على بطن قميص... شُدّ حزام على خصر، كأنه خاتم سليمان... إذا خلا الجد من الزوائد بدا كلّ شيء كما صوَّره المصوِّر.

أسبلت جفنيها... غاص قلبه في ركبيته حدّقت... ارتدّ إليها بصدّها... تهادت، عيون ظباء، أعجاز نساء.

ليس طالبًا... جسمه لا يشي بذلك... بينان ضخم... رأس ضخم،شعر كثيف غطى قذاله... انساب على جبهته عريض مصقولة– جبين وضاح يكاد يضيء... وجه مستدير بوسطه أنف ممتلئ – وجبهتان بارزتان... عينان كأنهما حبتا دوم كأنهما ضربتا معول.

– دم عبَّاس غجري.

– أقر... مزاجه تركي... كردي... عربي...فرعوني.

قال طالب:

– أصناف مستوردة يا جدعان.

وضع يده اليسرى تحت إبطه... على راحة يده اليمنى أسند رأسه... طأطأ قليلاً... أسبل جفنيه...راح بعيدًا...

- لن يكون لك ذكر... لن يكون لك لسان صدق – ولا لسان كذب... أنبتت حياتك.
- أولاد العباسيين كالخيول الجامحة.
- ليسوا أولادي.
- كلهم يفاخرون بأبيهم العمدة.
- ينتظرون ما سيرثون.
- لاتزال شابًّا.
- لن أغدر بها... تركت أهلها من أجلي.

***

ظنَّ الشّيخ علي أنَّ شيئًا من النوم أخذه... تنحنح.

قال العمدة دون أن يرفع رأسه.

ماذا عندك يا شيخ...؟

مصر مولعة ثار يا عمدة.

- حرب؟
- حرب النسوان يا عمدة.
- المبتول.
- نسوان يا بتاع الـ...

obeikandl.com

- يزحفنَ إلى البرلمان يا عمدة.
- النسوان؟

- يكتسحن الأحياء الشَّعبيَّة في إسكندريَّة ومصر راوية عطيَّة... مفيدة عبد الرَّحمن... نوال عامر... كريمة العروس... حكمت أبو زيد...عائشة راتب.
- فتوات جدد بدل زقلط، وحسونة السَّبع... والفللي والعكش والدّقش.
- المعارضة ستكون للنسوان يا عمدة.
- لسانهنَّ طويل... سيفردن الملايات.
- كلهنَّ محاميات.
- محاميات؟
- حريَّات... حقوق.
- رنت القافات في أذنيه كالطبل.
- حقوق؟!
- قبل أن تكمل عامها الدِّراسي الثاني كانت المكاتب الفخمة في ميدان التحرير في ساحة القناوي... في المركز.
- قال المزين:

راتب شهري لكلّ عمَّال التليفونات في كلِّ الدَّواوير، هدايا للمدرِّسين، في المدارس.

obeikandl.com

في الكتاتيب...

توالت الأخبار...

خمسة أفراح...

عشرة واجبات...

ماتت بقرة المحامدة – حمارة الجلاهمة.

عطلة في الدّير... في الكرنك.

قبل أن يصل عمدة البلد... تمَّ الصّلح.

- كلّ التعويضات دُفعت.
- قال البدوي دعوه ينزل... لن ينال صوته! الأصول أصول، مَن ينتخب حلاقًا؟
- نظر الشّيخ علي إلى البدوي وقال:
- الدّينار الكويتي أخرج لسانه يا عم الحاج.
- هرش العدوي.

***

- لا يعرف عن أبيه سوى أنه البطل الشَّهيد زميل الزَّعيم... أمام قاعة السَّنهوري... همس!
- الحقوق وما أدراك ما هي: محاماة...قضاة... سفراء... وزراء... قادة... زعماء... رؤساء.

obeikandl.com

- حفظ خطب مصطفى كامل وسعد والنحَّاس... أعجب ببلاغة مكرم عبيد وبيان نجيب الهلالي... عشق عبد الناصر حتى النخاع.
- قال الشّيخ عبد المجيد.
- زميلنا محمَّد المهدي: يصلي بابك من الميثاق.
- لحس مخك كتاب المصايب.
- إنها المعالم التي ستمحوا جهالة القرن العشرين.
- لم يتجاوز أكثركم علمًا سقيفة بني ساعدة.
- نماذج العدل والحقّ تملئان الزَّمان والمكان.
- واحد فقط غير ما تحكيم الطويل.
- القدوة والمثال.
- العادل لا يغتال.
- انسلختم من جلدكم وارتميتم في أحضان الرّوس والأمريكان.
- سنسير معكم إلى الصّومال.

قال الشّيخ: مصايب على الطريق.

- لا تجادلوا أهل الميثاق
- ندوات... محاضرات... أمسيات... مسرحيَّات... علماء... شعراء... رجال الدِّين:الشّيخ شعراوي... البابا شنودة.

- حصد كلَّ الجوائز الطالب محمَّد المهدي: كرمت الجامعة أمين اللجنة ومساعدته الطالبة زينب مهران... نشاط جديد لم تشهده الجامعة من قبل... عدَّة طرقات... توالى الطرق.
- الصَّلاة يا بنات.
- حريصة على تعليمهنم دينهم.. المسيحي والمسلم.
- راهبات... قساوسة... شيوخ من المعهد الدّيني... مخلوق لمرجون أبو المعالي.
- فقه... تفسير... حديث... بلاغة... أدب... نحو.
- كانت الإذاعة تبثّ نصف ساعة لكبار القرّاء كلّ صباح.
- رتّبن الأسرة... تقطف الغرف... قبل الثامنة.
- وقف لتحيَّة العلم والنشيد الوطني.
- للنشاط ومساحة واسعة في الجدول.
- ما من طالبة إلا تمارس الرّياضة والفنون... واجب مقدَّس... التدبير فرض عين.
- من جلود الأتراك... حرابر... الشّئون... امتلأت معارض الشَّواربي.
- تربّعت خلف مكتب من الأرائك... لمسة من أناملها... نظرة من عينها... دقة في الصّنع... جودة في الصَّنف... جمال في الذوق... هكذا عرفت مدام جلفدان هانم، حفيدة

العثمانلي، نالت شهرة واسعة، تدعو تجَّار الجملة... كل المستورد... كل المحلي...امتدَّت موائد الرَّحمن... غطت شوارع...ممرَّات.

- قسم خاص للمحاسبة... برأسه الابن الأكبر... أمَّا محمَّد المهدي، فلايزال طالبًا بكليَّة الحقوق... أولاد جلفدان هانم التركيَّة.

همس العباسيُّون.

قال النائب عبَّاس العبَّاسي:

لولا العزل السِّياسي ما سمعنا بأحد من أولاد الكلاب.

ابن الضَّبع اكتسح عدّة دورات.

ما كان جدّه يحلم يغفر.

لكلّ دائرة ظروفها.

عتاة هوَّارة هناك.

كله إلا ابن مزين الحمير.

صرخَ قط يستغيث...

فأر ينهش عظامي...

الفلوس تحيي النفوس... على رءوس هوَّارة تدوس.

- أين الرِّجال؟

بل قل أين التيوس!

ملعون أبو الفلوس.

مليون جنيه قبل فتح باب الترشيح.

خراب بيوت...

عمارها...

مجنون...

عين العقل... النائب المحترم يعلمهم... في سنة صاحبك إيَّاه عمل تسعيرة جبريَّة... يقول:

معنى ده من وزارة التموين.

الغفير خمسة بواكي... الكهرباء عشرة... البترول عشرين – الشّرطة مائة ألف.

والناس تدفع.

المعلم أبو الفضل دفع عربونًا لابنه في ثالثة إعدادي، وقال:

أبو الضَّابط يساوي ملايين.

قال الشّيخ علي:

– اقتربت السَّاعة.

قال العبَّاس:

جامع باسم القرعة؟

obeikandl.com

لا تجـوز الصَّـلاة فيـه يـا سـيّد النـاس...النبـي هـدم مسـجد الصّـراط؛ لأنّ أصـحابه فلاحون... الكعبـة فـي ديـار قـريش... هوّارة العرب.

لولا الحكومة لسويته بالأرض.

- عيالهم في مصر ولن يعودوا.
- في المبنى الشَّاهق المطلّ على النهر الخالد قال الزعيم:
- قوّة مصر في رجالها، وقوّة رجالها في سواعد شبابها.

قال الشّيخ الدَّمنهوري:

- إنَّ الاتحادَ الاشتراكي هيكل يجب ملؤه بالقوَّة الثروجيَّة.

قال المشير:

- الأمر يحتاج إلى جرعة منشطة تضمن الدَّوام والاستمرار... في بضع سنين... قاد شباب المنظمة دواليب العمل في كلّ المواقع.

قال الدّكتور أبو الحمد العدوي:

- أجيال متعاقبة رَسخت في نفوسها عقائد تزول منها الجبال.
- الولد بتاع الاقتصاد.
- محجوب عبد الدَّايم؟!!
- فكوا الوثاق... افتحوا جراب الحاوي على مصراعيه...

امتلأت الحركة الطلابيَّة بالبثور والدَّماميل... والفقاقيع... حجاب المعرفة الأسود... طواقي تحجب الضّوء... لحي تصمّ السّمع، تراتيل تعوق الفم.

قال الشّيخ الدَّمنهوري القابع في الجنب الغربي من الجامعة بعد أن حمدَ الله وأثنى عليه:

إنَّ الله خلقكم لتعبدوه بالصَّلاة والصّوم والاعتكاف في مساجده:﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴿١٨﴾﴾ فالزموا بيوت الله، لا تلهكم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ولا تكونوا كأهل الشِّرك من الصّين واليابان... الذين أضلهم الشّيطان فاتخذوا مصانع لعلهم يخلدون، وعبدوا الآلهة، وقدَّسوا الإنتاج، وغيَّروا خلق الله، إنَّ الله خلق الحديد والخشب، وسائر المواد؛ لتبقى موادًا فلا تغيروا خلق الله... إنَّ كلَّ تغيير بدعة وكلّ بدعة ضلالة... إنهم يسمّون العبث حداثة، وشرّ الأمور محدثاتها، التزموا سير سلفكم الصَّالح.

إنَّ الله قد أحلَّ لكم النِّساء: مثنى وثلاث ورباع وما ملك... قوموا إليهنَّ يرحمكم الله.

انطلقت الأفاعي تنبش القبور... وهو يتلذَّذ بأكل لحم زعيمه ميتًا... يتلمظ... ويترحّم.

شقّ ملابسه... صرخ!

- أين العمود؟!! أين الوعود؟! أين المواثيق؟ أين الطلاقات؟ أين المصاحف؟ أين البخاري؟ أين الرِّجال؟ العمد؟ الأعيان؟
- لم يصمد شيء أمام الدِّينار.
- رحم الله العبَّاسي الكبير.
- والصَّغير.
- لم تشهد الكتلة الطلابيَّة انقسامًا كهذا.

تعالت هتافات:

- يسقط الكفرة.
- يسقط العلمانيُّون.
- الله أكبر ولله الحمد.
- يسقط أعداء الوطن.
- الله أكبر، والعزة لمصر.
- قال عميد سابق:
- أجواء الأربعينيَّات تطلّ برأسها...أشمّ رائحة السّنج والجنازير.
- حتى الرّكبتين تدلى لباسه الأفغاني نصف متر من النجيل الخشن... غطى صدره العريض... تداخل... تكعبل كأنه نبات النفل، تفرقت ذوائب... لمع صلع رأس مستطيل مدبّب... قرعة... كوسة ضخمة.

obeikandl.com

- طاف الشّيخ الخديوي يدعو للمقاطعة: لقد هلك مَن كان قبلكم حين ولوا أمرهم امرأة، إنَّ وجود النساء في الحرم الجامعي كبيرة لا تغتفر... إنهنَّ رجس من عمل الشَّيطان، إذا ظهرنَ تدنَّت العقول والقلوب والأبصار والأسماع إلى الدَّرك الأسفل من الأجساد، وتلك فطرة، وشُغلت عن التحليق في الآفاق، والرّفعة والسّموّ.
- إنَّ الشّعوب في أوروبا وأمريكا واليابان تخلَّفت عن ركب الأعيان حين أسلمت زمامها لنسوان، لقد زرت هذه البلدان فما وجدت أحدًا منهم يصوم رمضان... بئس القوم هم وطوبى للصّومال.
- إنَّ كلَّ ما يزعمون من تقدُّم زائف وعلم كافر، ومعارف فاجرة لا تساوي بيتًا واحدًا من ألفيَّة ابن مالك.
- لقد سألت كبيرهم المدعو أحمد زويل عن معنى قول الإمام ابن مالك:

إن عاملان اقتضيا في اسم عمل قبل فللواحد منهما العمل

- فلم ينطق بجواب.
- لقد سألت كسنجر عن نواقض الوضوء فهرب.
- لقد سألت مدام تاتشر عن واجبات الغسل فتركت المجلس.

- إنَّ كتب التراث لا تذكر المرأة إلا بما يدلّ على نقص عقلها، وهو (ما) الموصولة التي تكون لغير العاقل، فلا تجد لها ذكرًا بمَن، التي هي للعاقل أبدًا، ومن هنا كان نقصان عقلها.
- ليس للمرأة مكان غير بيتها:﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾والبيت من البيتوتة وهي غرف النوم...اترزعن فيها.
- يا معشر الشَّباب حصّنوا أنفسكم باللحى والجلباب... قال سيّد الشّمحطي:
- كلّ البلاوي تحت الجلباب والنقاب... من شيوخكم العجب العجاب.

في القاعة المحلقة بمكتبه... قال الرَّئيس:

- نحن الآن في المرحلة الأخيرة من مراحل التَّشكيل، وقد انتهى دور القاعدة الطلابيَّة، فلا داعي للتجمُّعات الجماهيريَّة، وقد خصَّصت الجامعة قاعتين، في دار العلوم، وفي كليّة الهندسة، يومي الأربعاء والخميس القادمين، من السَّاعة الثانية حتى الرَّابعة، ولن يسمح بغير ذلك، والانتخابات يوم الاثنين القادم تحت إشراف قضائي.

- في القاعة الكبرى قدَّم المرشَّحون للرِّئاسة برامجهم. شرحت الطالبة زينب مهران مشروعها بالعربيَّة والفرنسيَّة والانجليزيَّة... دوَّت القاعة... أعلنت المنافسات تنازلهنَّ.
- لأوَّل مرَّة: رئيس الاتحاد فتاة.

صرخ الشّيخ: مصايب... لعنَ اللهُ قومًا... قبل أن تكمل انهالت الكفوف.

على استحياء تسلَّلت مع بسمة الشّروق... أشرقت على الجدار الشَّرقي... تشعبطت بسمة منذ عام الحزن... مات العبَّاس يوم أن نجح ابن المزيّن.

- منذ عصر إسماعيل والعرش العباسي، لم يتكس عامان، لم تخلع نساؤهم السَّواد... لم تنفرج شفة ببسمة... لميضحك أحد.
- قال الشّيخ علي:
- رئاسة اتحاد طلاب مصر أحسن من المجلس كله، قال عبَّاس العبَّاسي: إن لك أن تفرح بابنتك يابن أخي... انطلقت طلقات... اندفعت دفعات...دقت طبول... زغردت زغاريد...أمر العمدة مهران... رقصت خيول... ذبحت عجول.

- كلّ البلد... المركز كله، وفود من جامعات الصَّعيد... كان المحافظ في طليعة المستقبلين.
- تعالت الهتافات:
- عاشت الدّكتورة زينب العبَّاسي.
- عاشت الرَّئيسة.

قال البدوي:

- يا قلة الرّجّالة.
- يا قلة العقل.
- حريمهم رجالة.
- رجالهم حريم.

قال أمين اللجنة الثقافيَّة.

- حققنا كثيرًا من الإنجازات.

قال أمين اللجنة الاجتماعيَّة:

- التواصل لايزال محليًّا.

تساءل ساخرًا:

- هل نتواصل مع جامعة الأمم المتَّحِدَة؟!!

قالت زينب مهران:

- جامعة القاهرة أقدم جامعة في أفريقيا، خريجوها في كلّ بلادها لم لا يكون التواصل معهم؟

obeikandl.com

- نجرّب.
- لن نخسر شيئًا.

قالت زينب مهران:

- قبل أن نفعل شيئًا، علينا أن نفكّر في التمويل، فالاتحاد يعاني من قلة الموارد.
- من خلال علاقة اللجنة الاجتماعيَّة بالنَّاس أبدى كثيرٌ من رجال الأعمال استعدادهم.

قال نائب الرَّئيس:

- لو ضمّنا التمويل هان كلّ شيء.
- للجامعة رأي آخر.
- لدينا اجتماع مع الرَّئيس وسيرحِّب بالتواصل.
- تمَّ تشكيل لجان التَّخطيط والإشراف والتَّنفيذ، والإعلام، والاستقبال، والإعاشة التي ستكون في المدينة الجامعيَّة، ستتولى بعض الشَّركات معالم التَّنقّل والافتتاح في القاعة الكبرى وسيحضره الرَّئيس نفسه.
- لافتة كبيرة تصدَّرت البهْو الفرعوني الكبير [دور الشَّباب الجامعي في تنمية أفريقيا].
- استهلَّت الطالبة زينب مهران رئيسة الاتحاد بالتَّرحيب بالضّيوف وشكر الحاضرين.

obeikandl.com

- توالى شرح البرنامج باللغة الفرنسيَّة، والانجليزيَّة والسَّواحليَّة.
- فـي كـلّ سـاحة تليفزيـون... فـي كـلّ درب مـلأت صـورتها الشَّاشات... انطلقت الزَّغاريد...دوَّت الطلقات.

قال بدوي البدوي:

- أسـقطنا رجـالهم فـي الانتخابـات...طلعـت لنـا نسـوانهم مـن التّليفزيونات.
- بعد ثلاثة أيَّام أعلنت التَّوصيات.
- زيارة كلّ الآثار... المتاحف... المساجد... الكنائس.
- ابن المزين عامل كالمقص.
- موسى.

حلق كلّ الناس.

لم يؤذِ أحدًا.

خرب بيوت العباسيين.

لم يقترب منهم.

كلّ ما يفعله سحب من رصيدهم.

لم يكن لهم رصيد إلا التكبُّر.

فـي سـنة واحـدة غيـر الـدَّائرة الجماعـة البحـريين داخـوا علـى فصلين لأولادهم، بنى لهم مدرسة كاملة.

كتلة صوتيَّة ضخمة.

obeikandl.com

عشرة آلاف صوت حطهم في جيبه.

الشّراقوة لهم عشرون سنة يلجئون لتعيين غفر.

دخل ولد من أولادهم الشّرطة.

مجانًا؟

ودفع لهم المصاريف.

شيوخ العائلات سيحاربونه.

ثمن الجعيص... تمنهم عشوة.

الحزب لن يرشحه مرَّة ثانية لعدم الكفاءة.

الحزب لا تهمّه كفاءة والإعداديَّة.

إلا مَن لا يطيقه.

لبس حشمة بمليون.

مليون؟!

شركة الخليج لتقسيم الأراضي... آلاف الأفدنة المستصلحة بيعت بالمتر... بالدِّينار.

دخل كلّ أولاد المزينين مدارس أجنبيَّة.

- كان العباسيُّون يحرمون أولادنا من الكتاب.
- لم يبقَ أمام أولادهم إلا الأزهر.

obeikandi.com

- سيعملون مقرئين.
- سمعونا الفاتحة.
- ... صدق الله العظيم.

obeikandl.com

الفصل الرَّابع

دعيت زينب مهران إلى اجتماع عاجل.

قال محمَّد المهدي:

- الكليَّة رفضت تعيين معيدين.
- يمنحون الدَّرجات لأولادهم.
- وأحيانا لأحفادهم.
- رئيس الجامعة قال:
- الأمر متروك للكليَّات.
- والعميد قال:
- الأمر بين الأقسام.
- لسنا في حاجة لمعيدين.

***

قال أمين الرِّئاسة:

- لا يمكن مقابلة الرَّئيس... اتركوا الأوراق وسنردّ عليكم.
- شفع لها جمالها فقالت:
- لن نبرح القصر حتَّى نقابل الرَّئيس.

***

صدر قرار بتعيين جميع المتفوّقين.

obeikandl.com

وإحالة رؤساء الأقسام للتحقيق...
تعلن اللجنة الدِّينيَّة عن تلقي طلبات الرَّاغبات في الزَّواج... المقابلات ستكون سريَّة مع فضيلة الشّيخ الدّكتور نعمان:
شاب وسيم... منحه الله بسطة في العلم والجسم... وسامة في الوجه... وحاجة في الشّكل... نورًا في البصيرة... مكانته دينيَّة واجتماعيَّة وسياسيَّة.
توافد الشَّباب:طلبًا للعلم – للعمل –للزَّواج.

***

- اقفلي الباب... أطفئي الأنوار... أخفضي الأصوات.
- لا حياء في الزَّواج... الصِّدق والأمانة أساس السَّعادة الزَّوجيَّة.
- الشَّاب يريد أن يعرف كلَّ شيء قبل أن يرتبط، ولا يكون ذلك إلا عن طريق وسيط أمين... سأستمع إليك بإخلاص، وأنقل بأمانة... لا تخجلي، فأنا كما ترين... ليس على الأعمى حرج.

توالت الأسئلة والفتاة تجيب:

- رجليك؟ فخذيك؟ خصرك؟ بطنك؟
- صدرك؟الشّفتين؟ اللسان؟ العينين؟ لا تخجلي كلّ ذلك في كتاب الله... الفم؟ رائحته؟ طعمه... ريق الصَّدر...

عرضه... حجمه... الشّعر... والشّيخ يتحسَّس... يشم... يتذوَّق... يتلمَّظ...

- لقد وصفت بصدق، وأرجو أن أكونَ أمينًا في التبليغ، فما أنا إلا رسول عروس الطالبين.
- الحياة الزَّوجيَّة وصف وعمل وستتمرَّنين على ذلك... وسنبدأ بموجبات الغسل... الله الموفق والمستعان... تعالي منتصف الشَّهر... شهور لم يرد.
- تحلي بالصَّبر... الفرج قريب.
- همست لصديقتها.

قالت الصَّديقة:

- انتظرت ردَّه منذ سنين.
- كنت أظنّ أنَّ ذلك أمرٌ خاص.
- غيرنا عشرات!!
- مصيبتي... لا ينتظر.
- تلفع عباءة...شدّ نقابًا... أسدل إسدالاً... طرق باب الشّيخ رائحة العطور ملأت حبَّات نسيم مولانا.
- أريدك في أمر خاص يا مولانا.
- اقفلي الباب:
- سمعت عنك كثيرًا – ... عمّي أصغر مني... أنجبن.

obeikandl.com

- وأنا أجمل منهنَّ جميعًا.
- كان الفتى قد أعدَّ الأسئلة، لكنه تجاهل.
- ارقينا يا مولانا... في يدك البركة.
- سأسالك عدَّة أسئلة... أجيبي بصدق.
- تعزَّزت... تمنعت.
- ما رأيت خجلاً كهذا... تشجَّعي.
- سأحاول يا مولانا... لم أجالس رجلاً قبل ذلك... شديد الرَّوائح... التصق الفتي... حمي الوطيس... تأكد بنفسك يا مولانا...
- مدَّ الشّيخ يدًا... أوسع له... توغَّل... ضمَّ الفتى فخذيه... قبض الشّيخ على رأس القرموط...

oberkandl.com

الفصل الخامس

- لا تصدقوا الإشاعات.
- يدَّعون أنهم قابلوا الرَّئيس شخصيًّا.
- أضغاث أحلام.
- أساطير أوَّلين.
- أكاذيب آخرين.
- قال الشّيخ أبو الحمد الطالب بكليّة دار العلوم:
- من أوّل العام الدِّراسي، ونحن نشمّرائحة معالي رئيس الجامعة الجديد... نرابط أمام البيت الأبيض تحت القبَّة العالية.
- انتظره يوم السَّبت من السَّاعة الثانية حتى الثالثة، فقد يأتي.
- السَّبت إجازة.
- اليوم الوحيد:
- وأحيانًا الجمعة.

***

- دقت الثانية.

obeikandl.com

- تهادت السّبح السَّوداء، تتلوَّى كأنها الثعبان تبرق... تضيء... ستائر تهفهف... حرير... استبرق... قيام... قعود... هرولة... سعي... طواف.
- معالي الدّكتور الرَّئيس وصل.
- سيَّارة... طيَّارة... بارجة.
- صنعت خصيصًا لرؤساء جامعات مصر... سجَّادة حمراء من بيته حتى مكتبه...
- سور من رجال غلاظ شداد...طوال عراض.
- اصطفق الباب.
- أين هو؟
- لا نرى شيئًا.
- معالي الدّكتور لا تبصره عيون الطلاب.
- الله يرحم أيَّام زمان.
- كان يطوف على المدرَّجات... يتابع الملازم... ينادي بطباعة الصّحف:
- قرب... قرب... تخفيضات مناسبة نهاية العام.
- ما كنا نعرف له اسمًا.
- أبو جاكت كاكي.
- خمس سنوات لم تغيّره.

obeikandl.com

- غالي عليه.
- من ريحة المرحوم.
- ليس بين سكنه والجامعة إلا شارع... من نافذة صغيرة فوق العمارة الكبيرة انداح... نظر الصَّبي...
- من أعلى سطح العمارة الشَّاهقة... انداح البصر... اخترق بساتين الأورمان... حدائق الحيوان.
- اخترق الفضاء...دار في السَّماء... عانقت مآذن الأزهر ذري الأهرامات... ملأ الكون بهاء... على صفحات النهر الخالد انغرست سهام الضّياء.
- قباب: الحسين... الإمام... عمرو.
- الكنيسة المعلقة... المعبد.
- قال الغلام فيه: مَن هذا يا والدي؟
- سيدي الجامعة.
- مَن مِن الأولياء؟
- يقولون: إنها أوّل قبَّة لسيدنا الحسين.
- قبل أن ينتقل إلى الدّراسة... حكم أولياء الله الصَّالحين لهم في كلّ بلد قبَّة.
- قبل أن ينام يولي وجهه شطر السَّاعة الكبيرة... يصلي ركعتين... يقرأ الفاتحة لصاحب المقام.

- تسلّق السّور الحديدي كأنه فأر، طاف بالقبَّة عدَّة مرَّات يقرأ... يدعو.
- أمسك بتلابيبه.
- كيف تسللت في أنصاص الليالي؟ والماء؟
- أزور سيدنا الحسين.
- مَن أنت يا غلام؟
- أنا عبد الشّكور.
- أين أبوك؟
- في العمارة الكبيرة.
- عمك أمين؟
- أيوه.
- الله يجازيك يا عفريت.

على قوائم أربع، رُفع صندوق أحمر – له غطاء ثقيل – بخط كبير... على كلّ جوانبه كوكا كولا، رصته رصًّا...أكملته ثلجًا.. غطته بخيش مبلول.

- ذاع صيت شراب السّت أمّ عبده.
- يظلّ يومه يرقب الصَّاعدين... يتأمَّل النَّازلين...همّ يساعد... لم يقوَ بعد على حمل حقيبة أو دفع قفة أو سبت.

obeikandl.com

- لأوَّل مرَّة يمسك قرشًا... بليلة... بطاطا... خروب... كال رصيف المحطَّة الوالد والأم...الخال والعم.
- يتشعبط... ينزل من الباب الآخر... تحرَّك القطار... أقفلت الأبواب... تاه في الزّحام... كاد يدهش... سيقان... بطون... ظهور... مراكيب... لطشته الحقائب الصَّاعدة... غمرته القفف النَّازلة... جرفته الأمواج الزَّاحفة... تجتدل... تدحرج...تكحرت.
- بجوار كومة كبيرة جلس يبكي.
- لماذا تبكي يا ولد؟
- أريد أمِّي.
- وأين أمّك؟
- في البيت.
- أين بيتكم؟
- عند الجبَّانة.
- أي جبانة.
- جبانة الشّط القبلي.
- لا إله إلا الله... من أي بلد أنت؟
- من درجا.
- خدوه إلى قهوة الجراجوة.

obeikandl.com

- مَن تعرف في مصر؟
- خالي.
- ما اسمه؟
- اسمه خالي.

***

- دخل القهوة رجل فقال:
- سلام عليكم يا معلم جابر.
- صرخ الغلام:
- جابر خالي... خالي اسمه دابر...دابر الدّرداوي...

-٤-

- تربَّع المعلّم جابر الجرجاوي على دكَّته في المكتب المقابل بمدخل العمارة ذات الطَّوابق العديدة والشّقق والمحلات... أكبر عمارة في بين السَّرايات... بها عدّة شقق مفروشة... يسكنها الطلبة العرب... ملاكها من كبار الموظفين تصلهم أنصبتهم في بيوتهم...
- ورثوه أيضًا عن والدهم... جابر الذي يقوم بكلّ شئونهم، استأجر خدمًا... نساء ورجالاً... تزوّج عدّة مرَّات... لم ينجب.
- ستخلفني يا أمين يا ولدي.

obeikandl.com

- أرملة في منتصف العمر... لم تنجب... تسلية بدلال عاقر حسناء تسكن شقتها الفاخرة... إرثها من جدّها السّلحدار... تعمل بوظيفة مرموقة بسفارة الكويت بالدّقي... تعيش في رغد من العيش... رغم التبرُّج الواضح في الملبس، فإنّها شديدة الاحتشام... قمّة الأدب.
- غلام وسيم قمحي اللون... صافي البشرة... أكحل العينين خفيف الدَّم... طيّب المعشر... أحبّته السَّيّدة فاطمة السّلحدار الغلام حبًّا جمًّا... علَّمته الكتابة والقراءة والحساب وفنّ التَّعامل.

***

- قبل أن يمرضَ الخال مرضه الأخير كان الفتى خلفه في كلّ شيء.
- منذ عشرات السَّنوات لم أقضِ عيدًا واحدًا في البلد – وحشتني الشَّوارع... شارع المحطَّة... شارع فاروق... قهوة أو قدح وقهوة المعلم طزه... فول العجوز...مخلل علي باكبر – ملوحة الصّريخ... الويكه والشلولو... القصب البلدي... خد الجميل دراع القط.
- سيدي أبو عميرة... سيدي أبو الطواقي... سيد أبو الكيف... مد.

- أمنيّة عمري ياضناي أن أفرحَ بك قبل أن يحين الحين.
- بعد عمر طويل يا ست الحبايب.
- لن تسافر هذه المرَّة إلا ومعك عروستك.
- الأمر لك يا غالية.

***

- بعد أسبوع كانت الأمّ وابنها، وعروسه في بين السَّرايات.
- في الخامسة عشرة من عمرها نالت قسطًا من العليم ممشوقه القدّ– بادية الطّول لما يكتمل نضجها بعد مشروع امرأة قويَّة البنيان.
- لم تجد الفتاة الجرجاوية جديدًا في مصر، فهي ابنة المدينة الجميلة التي تفوق بين السَّرايات نظافة،وقصورًا، وحدائق، يبلغ اتّساع النّيل عندها مداه...لم تكن من سراتها لكنّها من سكّانها... كما أنَّ إحساسها المبكِّر وجمالها أكسباها اعتزازًا وطموحًا، وتطلعًا.
- جلست والدَّمع الرّقراق بعينها تتأمَّل سهام الشَّمس المتسللة من بين أغضان الشَّجر الكثيف.
- المارقة من تحت إبط النَّخل الطَّويل.
- تكسَّر النّور الأرجواني على القبَّة الرَّماديَّة، فكستها غلالة من نور.

- الطَّالبة سيّدة حسب الجداوي أولى أوّل.
- ثلاث سنوات يا أمِّي
- لم يترك المرحوم لنا شيئًا... موته ثلاثة شهور.
- أعمل بالإعداديَّة يا أمِّي.
- مرمطة في البيوت يا ضناي... العبَّاسي سير راتبًا شهريًّا.
- إجباري؟!!
- الفقر ذلّ يا ضناي.
- أحسن بها... بالغ في إكرامها.
- قالت السّيّدة أم حسام:
- ساعديني في نشر الغسيل يا سيّدة.
- لم ينم ليلته.
- انتظره طويلاً:
- يا أستاذ سيّد... زوجة المعلِّم ليست خادمة... أبلغ زوجتك.
- أبدت أم حسام أسفها.
- لُطعت لطعًا... دقت دقًّا... ملأت الباب العريض... تسمَّرت عيناهـــا... اخترقـــت المعلـــوم والمجهـــول... المهتـــد بس...الدّكتور...اللواء... المستشار.
- عبد الشَّكور: عبد الصَّبور...عبد الغفور عبد البصير أمين الجرجاوي سيّدة الجدَّاوي.

obeikandl.com

- خطوة واحدة يا ضناي... شارع واحد... كدا تعلمها يا ولد عمِّي... لم يشعل لفافة قط... لم يشكُ مرضًا قط... خمسة وأنهم وحدهم!! لا أستطيع التَّرحُّم... لن أصدِّق!!
- الحاجات غالية قوي يا معلّم.
- دعيهم يختاروا ما يريدون... لا تحرموهم من شيء... أحسن لبس... أحسن أكل... أحسن مدارس.
- تبذير يا ولد عمِّي.
- الرّزق وفير، والصِّحَّة حديد، والعمر مديد.
- نعمل حساب لبكره.
- عمره ما عمل لنا حساب ابن الكلب... سبناه في البلد... جاء وراءنا.
- مَن؟
- شاهدته يحوم حول البيت... سأضربه بالمركوب.
- مَن؟
- أبو أحمد.
- سلامة عقلك يا أخوي.
- الفقر يا أمّ الولاد.
- سايب الدُّنيا كلّها ومعشّق في مصر... أنا قلت آخره المحطَّة لكن... لأذيقنَّ الفقر طعم الفقر.

obeikandl.com

- فطري العيال حمام... غذّيهم كباب... لا أريد أن أرى وجه ابن ميتين الكلب.
- لا أجده يدخل علينا.
- الفول يا أمّ الولد.
- فال الله ولا فالك.

***

- فـي الفـرح يـا أخـوي... أخـوي وأبـوي رجلـي... ولـدي... سندي... كنت مستنّي النَّتيجة... خمسة وأمّهم يا جملي!!
- انساب كأنَّه سرحان الغضا... دار حول السّور... تشمّم... مدَّ يديه يتسلَّق...سقط... حاول... تراجع... فغر.
- انطلق الأبلق...طار فوق السّور...تعادت السّبعان... سالت دماء... قطعت آذان.
- لا يصلح بينهما إلا المعلّم جرجاوي.
- كـلّ شـيء ممكـن إلا الصّـراع علـى الأنثـى أو الكرسـي مـا اصطرع فيهما فحلان إلا وصرع أحدهما الآخر. لما الصدر دون العالمين أو القبر.
- أربعون خليقة قتل منهم ثلاثون بالسَّيف.
- والباقون بالسّم.
- مَن في الجنَّة ومَن في النَّار؟

obeikandl.com

- كلّ فريق يقول...

قتلانا في الجنَّة وقتلاكم في النَّار.

- ورضي الله عنهم! ونحن ندعك.
- وأمرهم شورى... كانوا يتشاورون بالحسام المهنَّد... والد كلّ الأطفال... صديق لكلّ الشّباب... أب لكلّ الكبار.
- المعلم أمين الجرجاوي... الحاج أمين...الشّيخ أمين المقدّس أمين.
- سور من العمارات الشَّاهقة...المحلات الفاخرة... المقاهي والمطاعم العامرة... إطار من العمران... حشوه جهل وفقر وجوع وعري... فحشاء... منكر... كلّ الموبقات... هكذا تبدو أحياؤها الشَّعبيَّة.
- خمس سنوات منذ أن ظهر... لم يتلقَّ بلاغًا... كلّ مشكلة الجرجاوي... هاتوا الجرجاوي... خرب بيوتنا الله... هكذا همس الشَّاويش عبد الحميد: مخاوي جان... يحلّ المشاكل من قبل أن تقع... وكأنه صانعها... الله يرحم الجميع.
- زحفت الجموع من كلّ الأحياء... طفحت الشَّوارع... امتلأت الميادين وكأنّهم يودعون جمال عبد النَّاصر.

- مشاكل السُّكَّان، وأصحاب المحال والصِّيانة لا تنتهي يا أم عبده... كان المرحوم يكفينا كلّ ذلك وأولادك صغار، تحتاجين إلى مَن يساعد... هكذا قال وكيل الورثة.
- لن يتغيَّر شيء، وعبده صار رجلاً، المرحوم كان يشركنا في كلّ شيءٍ.
- كان المرحوم يمارس أعمالاً تدرّ دخولاً... يستأجر خدمًا... جفَّت المنابع.
- سأتفرَّغ لمساعدتك يا أمِّي!
- في ذلك هلاكي يا ولدي، وصية أبوك.
- كان لديه دائمًا فائض من الوقت... طوى السَّنوات طيّ السِّجل...قفزَ على سلم الدَّرجات والوظائف قفزًا قفزًا... ذاعت شهرته في كليَّات الحقوق... والاقتصاد... والتّجارة:
- كتب مذكّرات... محاضرات...ندوات على رأس القبَّة... تنزل من السَّماء... أصغر رئيس جامعة في العالم.

قال أستاذ الشَّريعة:

- الرَّئيس الأجنبي الوحيد الذي ترأس السربّون، كان المرحوم والده أيَّام أن كنا ندرس هناك.

- مكافئات... بدلات... امتحانات... عمولات... كلّ جنيه داخل... كلّ جنيه خارج... له فيه نصيب معلوم.
- في عامين كانت العمارة العالية ملكًا للباشا... من أين له بهذه؟!!

قال الشّيخ:

- هي بعض ميراثه من المرحوم والده...
- لقد أشرفت على توزيع التّركة... تبقى على القهوة... همسَ المعلّم حسَّان:
- يبدو أنَّ الدّكتور يتاجر في الصَّنف من ورانا.
- انسابت المرسيدس السّوداء على السّجَّادة الحمراء... تهادى الفارس الشَّاهر نشأت يزور عرشه.
- غبار تحت القبَّة الزَّرقاء.
- دونه عرش بلقيس.
- أفتطمعون أن يؤذنَ لكم؟!

obeikandl.com

الفصل السَّادس

- عمد... مشايخ... أعيان... نوَّاب عرفتهم جمعيًا.

قال ابن الشّيمي:

- مليون جنيه شبكة.
- لم يبقَ إلا ابن المزين... لو همس اقطعوا لسانه.
- سمع النائب محمَّد الشّيمي – هرول معتذرًا.
- ابن غشيم.
- منذ أن تلاقى القلبان على سلم الكليَّة لم يفترقا... في الجوف قلبان يخفقان... إذا ذكر الأوّل خفق الثَّاني... إذا نودي الثاني أجاب الأوَّل... الثاني أوَّل... الأوَّل ثان هو...هو...
- في الكليَّة... في الجامعة... في المحاضرات... في النَّدوات... في النّقابة... في النَّادي.
- حتَّى تأليف الكتب مشترك: محمَّد المهدي – زينب مهران... المهدي مهران... مهران المهدي.

قال الشّيخ نواقض الضّوء:

- والبط والوز إلا إذا رأى أيهما زينب، وأيهما المهدي.

مدَّ يده بخطاب!

- اقرئي يا دكتورة.
- السّيّد الأستاذ الدّكتور محمّد المهدي.

obeikandl.com

- لقد وقع اختيار الجامعة عليكم للتّدريس.
- في جامعات فرنسا لمدَّة عام قابل للتَّجديد.
- رجاء مراجعة إدارة البعثات.
- ارتعشت... سقط من يدها... غامت...غابت.
- من شرفة المطار اندفعت عيناها ترقب الصَّاعدين...كلما علا درجة هبط قلبها درجات... غاص المهدي في جوفها...فكأنَّهما النَّغمة هوت.
- منذ أن عينا معيدين لم يفترقا حتى أيَّام الإجازات... الغداء في نادي أعضاء هيئة التَّدريس في الثامنة بعد الشَّاي وينتظر من صنع يديها.
- فتحت الباب... أشعلت المصباح... وقعت اللفافة من يدها لأوَّل مرَّة تجده... دارت على المكاتب... أفعى تبحث عن وليفها.
- في المرآة...في الفنجان طيفه في كلّ صفحة... صوّرته مضى شهر... باقي...
- دخل عليها مهللاً:
- خطاب من الخارج يا دكتورة.

نتشته نتشًا دفسته في حقيبة يدها... كبشت كبشة... دفعت بها إليه لا تدري كم كبشت؟!

لا يساكنها أحد وغلقت الأبواب... أحكمت النَّوافذ برفق دقيق... استلتها... أشبعها تقبيلاً... هرتها بوسًا... انخرطت في البكاء.

- الأستاذة الدّكتورة"زينب".
- قالتها عدَّة مرَّات... زعلتها... جوّدتها... حفظتها... أوسعت لها مهادًا في صدرها... غابت في سكرة... توالت الرَّسائل:
- زميلتي...
- عزيزتي...
- حبيتي زينب...
- انهمرت الدّموع...
- بللتها... أغرقتها... لم تستطع قراءتها... دفعتها في فمها... لاكتها... ابتلعتها... جرت المياه في الأعواد الجافَّة... أزهرت الزَّهرة... تورَّدت الوردة... تمايل غصن البان... زنهر الصَّدر... شكشك.

أربع رحلات إلى اليابان... الصّين... أوروبا... أمريكا.

كانت الدّكتورة زينب مهران المرافق لرحلة أوروبا.

في مطار ديجول... دون وعي اندفعت... عانقت... وحدها كانت في انتظاره... قادت سيَّارتها... ألف وجه بنفسها.

obeikandl.com

- على الرّغم من نظافة باريس فإنَّ لمصر مذاقًا خاصًّا.
- قرطاس فلافل... كوز ذرة... رفع دورق العصير... أتى عليه.
- أمام منزله بمساكن المحافظة المقابلة لجامع صلاح الدِّين، أنزل الحارس حقائبه.
- على الكنبة حقيبة يا دكتور.
- احفظها عندك.
- استدارت... رجعت لمسكنها أمام حديقة الحيوان... يطلّ تراسها الخلفي على النّيل.
- فومها ذو ثراء عريض بعد أن أعاد السَّادات لهم مئات الأفدنة... تعشق السَّادات حتَّى النّخاع... الباشا ولي النّعم... لو عبدناه ما كفرنا.
- لا تذكره أمام المهدى النَّاصري.
- القدماء كانوا يؤمنون بأنَّ للأغنياء ربًّا هو الرّزَّاق الباسط... وللفقراء ربّهم هو المقدّر المقتدر... كذلك الرّؤساء عبد النَّاصر محبّ للفقر وليس للفقراء (غاوي فقر)... السَّادات عاشق للعزّ والأبّهة... يتيه... أليسَ لي ملك مصر؟

opeikanar.com

- باتت... حلمت بكلّ شيء... إلا ما كانت تحلم به.

دقَّ الجرس... انتفضَ القلب... ارتعشَ الجَسَد...

همس...

صباح الخير يا دكتورة...

عاد السّتار الكثيف... حجاب إيزيس اصطبحَ على صوت الكروان.

انفرجت أسارير القلب.

قال المهدي:

- أرقامها واحد. واحد. واحد. سأتصل بك.

لم تشك لحظة أنَّ بها شيئًا غير المراجع... آخر ما تسمح به العلاقة زجاجة بمطر يا دبسي.

رفعت لفافة شفافة... مدَّت يدًا... أخذت ملابس نسائيَّة... هناك خطأ؟ أعادت قفلها.

- ليس للرَّجل علاقات أخرى؟!!

- بقي أيَّامًا... لم يفاتحها في أمرها ولم تفاتحه... أنسيتها؟

- لم يعجبها ما بها... بنت باشاوات! طالَ الصَّمت... طالَ التّرقب... أيُّهما أطول صبرًا؟

obeikandl.com

- يبدو أنك نسيتها؟
- مَن؟
- الحقيبة.
- سأخبرك خبرها... بتأويل ما فيها.

بعد أيَّام قال:

- افتحيها... تأمّل ما فيها.
- ختان فرح... آخر للسّهرة... ملابس... عطور... علبة مجوهرات تبرق... تضيء...
- لمَن كلّ هذا؟
- لعروستنا الحلوة.
- أي عروسة يا دكتور؟
- لكِ يا زوبا؟

في صفقة واحدة خسرت جلفدان هانم كلَّ شيء.

لم يتبقَّ ممَّا تركَالوالدن والأقربون شيء...عمل بمكتب أستاذه المحامي الشَّهير منذ السَّنة الثَّانية... أجاد كتابة المذكّرات... إعداد المرافعات... لم تمضِ عشر سنوات... أصغر قضيَّة دستوريَّة.

obeikandl.com

يسعدني أن يخلص تلميذي... بينك وبين منصّته المجلس... توقيع... هكذا قال رئيس مجلس الشَّعب عقودًا على بياض من عدّة جامعات.

تعلّل بعلل ظاهرها وطنيَّة. باطنها حسناء صعيديَّة...

-٦-

كلّما رأيت صورتها انشرح صدري... انقبض قلبي... أخوها صغير وأبوها شيخ كبير.

قال الشّيخ علي:

ستعيّن الدّكتورة في المجلس القادم يا عمدة.

- لن يشفي غليل صدرونا إلا كسر ابن المزيّن... ستخوض الدّكتورة الانتخابات... وستسحقه سحقًا.

- ٧ -

جلست تخطّ الأرضَ خطوطًا.

- ألا تفرحين يا أمّي؟!

- لن تدخل فرحة قلب الأمّ إلا في بيت العدل.

- نصيب يا أمّي.

- ومتى يا أبي.

- قريب

- أيّهم يا ضناي.
- سكتت.
- لن يقبل أهلك غريبًا.
- يحرمون ما أحلّ الله.. عز وجل؟ يا أمِّي... دون رضا أهلك؟
- أمسكت وجهها... صرخت.
- العشق يا ضناي.
- راحتا في بكاء شديد.

في مطار الأقصر لأوّل مرَّة احتضنته... بلَّل الدَّمع كتفيه... انتزعت نفسها انتزاعًا... همّت... احتضنها... ذرفت عيناه...أحسَّ حضن مودع.

عاد كاسف البال... موجوع الفؤاد... مشتَّت الأفكار... كلَّل السَّواد الوجه...التّصبّر... هدّ الحزن الجسد الفخيم.

– ما بك؟

لم ترد... كرَّرها.

قال يخفِّف عنها: ما بكِ يا أمّ الدّكتورة؟

صرخت:الزَّمان يعيد نفسه... العشق يا محمَّد.

لفته دوَّامة... سقطَ... نَهق كالطّفل.

داء عضال... مَن ذا الذي يقف في طريق الطّوفان؟!!

obeikandl.com

***

لم يعد الصَّدر يحتمل... إلى صديقه الشّيخ علي أسرَّ القول:

- زوجها يا عمدة.
- إن فعلت ملكت.
- وإن لم تعقل.
- ماتت زينب.
- تخلّص من عادات الجاهليين.
- أصول يا شيخ.
- قديمة.
- الأصول لا تبلى.
- فاكر حكاية الفلاح الذي تزوَّج واحدة من هوارة... ماذا حدث له ولها؟
- طلقوها منه، وزوجوها ولد عمّها.
- هواري مثلها.
- اسأل عنه... قد يكون من هوَّارة بحري... كلّ البلاد فيها هوَّارة... مصر نفسها التي تقول عنها... سكّانها بزرميط فيها هوّارة... جمال عبد النَّاصر هوَّاري... رئيس الجزائر هواري... اسأل يا عمدة.
- كيف؟
- قريبك يجيب التَّايهة.

obeikandl.com

- مَن؟
- عمر بك.
- انتشله الاسم انتشالاً.

***

بعد أسبوع كان الملف كاملاً بين يديه منذ جدّ الجدود حتى الغد...

أفلت الشَّمس... انشقَّ القمر... هوى النّجم... عسعسَ الليل...

وقعت الواقعة... انفرد العقد... تناثر اللؤلؤ.

- الغجري أرجل منك؟!
- تحدى كلّ النَّاس.
- هرب.
- لأنَّه غجري.
- لو كان عمدة؟!
- ليتني لم أكنه.
- افعل كما فعل أبي.
- أبوك غبي... لم يكمل.
- ...
- صعق.
- محمَّد المهدي ابن محمَّد محمَّد مهران.
- شهرة الوالد محمَّد أبو القرعة.

obeikandl.com

واطي ابن واطي... دقّ مطرق... كان يعرف عنها كلّ شيء... رماه المزيّن في طريقها لا تنعمن من الجميع.
جفَّ العود الرَّطيب... ذوى الغصن المديد... حكيم... طبيب... اختفى البهاء... ماتت الحسناء.
دعته جمعيَّة حقوق المرأة... لم تستطع أن تنزع حقّها!!
اختفى الدّكتور محمّد المهدي.

***

obeikandl.com

obeikandl.com

الاسم: **أبو القاسم أحمد رشوان موسى**

تلفيون: ٠١٠٩٤١٢٢٧٤٩-٣٨٣٤٣١٣٤

الشّهادات والدَّرجات العلميَّة:

١-الشّهادة الثانويَّة من معهد جرجا الدّيني.

٢-ليسانس دار العلوم ١٩٦٥ جامعة القاهرة.

٣-ماجستير في الأدب العباسي كليّة دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٧٤.

٤-دكتوراه في الأدب المسرحي كليّة دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٨٠.

٥-أستاذ مساعد في الأدب القديم كليّة دار العلوم جامعة الفيوم ١٩٩٧.

٦-أستاذ بكليّة دار العلوم جامعة الفيوم ٢٠٠٢ إلى الآن.

الوظائف التي عمل بها:

١-تدريس اللغة العربيَّة والتَّربية الإسلاميَّة في مدارس مصر ١٩٦٥-١٩٦٧.

٢-تدريس اللغة العربيَّة والتربية الإسلاميَّة في مدارس الكويت ١٩٦٧-١٩٧٦.

obeikandl.com

٣-مدرّس أوّل بمدارس الكويت: ١٩٧٦-١٩٨٦.

٤-خبير فني بإدارة الكتب والمناهج بالكويت: ١٩٨٦-١٩٩٠.

٥-عضو هيئة التدريس بكليّة دار العلوم بالفيوم: ١٩٩٠ إلى الآن.

٦-أستاذ مشارك بكليّة اللغة العربيَّة بالجامعة الإسلاميَّة بإسلام آباد: ١٩٩٣-١٩٩٩.

٧-رئيس قسم الدّراسات الأدبيَّة والنّقديَّة بكليّة اللغة العربيَّة بالجامعة الإسلاميَّة بإسلام آباد: ١٩٩٩٦-١٩٩٩.

٨-مستشار رئيس الجامعة الإسلاميَّة بباكستان لشئون الطلاب: ١٩٩٦-١٩٩٩.

٩-رئيس قسم الدّراسات الأدبيَّة بكليّة دار العلوم بالفيوم: ١٩٩٩-٢٠٠٥.

١٠-عضو مجلس كليّة دار العلوم بالفيوم ١٩٩٩ وإلى الآن.

١١-عضو مجلس الدّراسات العليا كليّة دار العلوم بالفيوم ١٩٩٩-٢٠٠٥.

الكتب والبحوث:

١- محمَّد بن عبد الملك الزيَّات حياته وأدبه.

٢- مصر القديمة في المسرحيَّة المعاصرة.

٣- تاريخ الأدب الجاهلي.

٤- نصوص من عصر صدر الإسلام.

٥- تدريس النّصوص في المراحل التعليميَّة.

obeikandl.com

٦- دراسات في الأدب القصصي.

٧- دراسات في الأدب المسرحي.

٨- طرق الأداء الجامعي وتقييمها.

٩- التربية الإسلاميَّة والتَّحديات المعاصرة.

١٠- الأطر الفكريَّة في شعر شوقي.

١١- الهجاء الفني في الشّعر القديم.

١٢- لوحات من شعر الطلل الجاهلي.

١٣- استدعاء الرَّمز المكاني في الشّعر القديم.

١٤- قراءة في أشعار المخضرمين.

١٥- استخدام نظريَّة النّظم الشّفاهي في الشّعر الجاهلي.

١٦- صحوة القلب في الشّعر القديم.

١٧- الرّسم بالأصوات.

١٨- الفرس والقلق الحياتي في الشّعر الجاهلي.

١٩- قراءة في شعر الخيل.

٢٠- فنّ المدح عند زهير بن أبي سلمى.

٢١- توظيف الموروث الشّعري في عيني أبي ذؤيب.

٢٢- التَّفسير الرَّمزي للشّعر الجاهلي.

٢٣- جدليّة الخطاب الأسري في الشّعر القديم.

٢٤- الشّعر الجاهلي... قضايا وموضوعات.

obeikandl.com

٢٥- محاولات التَّجديد في شعر صدر الإسلام.

٢٦- معلقات العرب (مكانتها الاجتماعيَّة والفنيَّة الجزء الأوَّل.

٢٧- معلقات العرب (مكانتها الاجتماعيَّة والفنيَّة الجزء الثاني).

٢٨- مختارات من شعر الدّولة الأمويَّة.

٢٩- قراءة في معجز نجيب محفوظ اللص والكلاب.

٣٠- مدد يا صاحب المدد – رواية.

٣١- جِراحٌ لا تَنْدَمِل –رواية.

٣٢- أه يا بلد –رواية.

٣٣- الشاويش محمَّد محمَّد محمَّد– رواية.

الموقع:www.aboelkassem.com

إيميل:arashwan2007@yahoo.com

ت: ٠١٠٩٤١٢٢٧٤٩

٣٨٣٤٣١٣٤

obeikandl.com